٢٧- ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنة ﴾

إنّ محمّد بن عبدالله ﷺ هو الشّخص الوحيد الّذي يمكن، بِمَنِّ الله تعالى وفضله، أن يُتَّخذَ أُسْوَةً حسنةً وقُدْوةً مُثْلى. وقد جاء في الآية الكريمة الحادية والعشرين من سورة الأحزاب المدنيّة[١] الكريمة قولُه عزّ من قائل:

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، لقد كان لكم دائماً وأبداً ياأيّها المسلمون في رسولنا محمّد بن عبدالله ﷺ ، أسوةٌ حسنة، وقُدْوَةٌ مُثْلَى، لمن كان يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة[٢] وذَكَرَ الله ذكراً كثيراً في الخوف والشّدّة والرّخاء[٣] استعداداً لذلك اليوم المجموع له النّاس المشهود.

لقد هيّأ الله تعالى لمحمّد بن عبدالله ﷺ كلّ الأسباب الّتي تجعله وَحْدَهُ ﷺ دون سائر النّاس، وفيهم النّبيّون والمرسلون عليهم صلوات الله وسلامه، كي يكون عليه الصّلاة والسّلام الشّخصيّة الّتي يمكن أن تكون الأسوة الحسنة، والّتي يمكن أن يقتدي بها كلّ إنسان، مهما يكن تخصّصه وميدان اهتمامه.

والحقيقة أنّا إذا تساءلنا عن الشّخص الّذي يمكن اتّخاذه أسوةً حسنةً لنا مهما كان اختصاصنا فإنّ هنالك جواباً واحداً هو أنّ محمّد بن عبدالله ﷺ هو وحده دون سواه الّذي يمكن اتّخاذه أسوةً حسنة. والسَّبب في ذلك هو أنّ الله

---

[١] الإتقان ١/٤٣.

[٢] تفسير الطّبري ٢١/٩١.

[٣] تفسير الطّبري ٢١/٩١.

تعالى الّذي شاء ذلك قد هَيَّأ كلّ الأسباب الّتي تجعل تلك الأسوة الحسنة ممكنة. إنّ سيرة محمّد بن عبدالله ﷺ هي وحدها السّيرة العِلْميّة العمليّة الكاملة. ونحن نعلم عنه ﷺ كلَّ صغيرةً وكبيرة، فقد أذن عليه الصّلاة والسّلام لكلّ النّاس أن يرووا عنه كلّ شيء، ابتداءً بزوجاته رضوان الله تعالى عليهنّ. إنّا نعرف عنه ﷺ كلّ شيء، ومن ثمّ يمكن اتّخاذه عليه الصّلاة والسّلام أسوةً حسنة. ثمّ إنّ شخصيته عليه الصّلاة والسّلام تتّسع لكلّ الشّخصيات، بحيث إنّ كلّ شخصيّة، مهما يكن تخصّصها، تستطيع أن تتّخذ منه أسوتها الحسنة.

والله سبحانه وتعالى الّذي هيّأ كلّ الأسباب الّتي جعلت تلك الأسوة ممكنة، قد حفظ سبحانه وتعالى كلّ مصادر سيرته عليه الصّلاة والسّلام كاملةً وبجميع حلقات حياته عليه الصّلاة والسّلام. وأهمّ مصادر سيرته عليه الصّلاة والسّلام، كما هو معروف، القرآن الكريم، والسّنّة النّبويّة المطهّرة، وكتب السّيرة العطرة، والشّمائل، والتّاريخ، والشّعر الّذي قيل فيه ﷺ. إلى غير ذلك من مصادر.

أمّا القرآن الكريم فقد تكفّل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدّين. وفي هذا المعنى جاء قوله عزّ من قائل في الآية الكريمة التّاسعة من سورة الحِجر المكّيّة[1] :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾

وأمّا السُّنَّةُ النّبويّة المطهّرة، والمراد بها أقواله ﷺ ، وأفعاله، وتقريراته، والمراد إقراره ﷺ العمل الّذي يُعْمَل أمامه أو بعلمه فلا ينهى عنه. وصفاته الخُلُقيّة، والمراد شمائله ﷺ وأخلاقه، وصفاته الخِلْقِيّة، ﷺ. وقد سخّر الله تعالى حشداً من الأئمّة الأعلام الّذين قدّموا للسُّنّة النّبويّة المطهّرة خدمةً جليلة. وممّا

---

[1] الإتقان ١/٤٣.

يصحّ أن يُقال في هذا الصّدد إنّ كتب الحديث حفظت لنا من أقوال النّبيّ ﷺ وأفعاله وأحواله مايبلغ مائة ألف حديث. وقد امتاز الصّحيح منها عن الضّعيف والموضوع، والقويّ منها عن غير القويّ[١] وحينما نتحدّث في سنّة المصطفى ﷺ نحن نودّ أن نشير إلى شخصين اثنين على جهة الخصوص لدورهما المتميّز في حفظ سنّة المصطفى ﷺ. وهذان الشّخصان هما أبوهريرة رضي الله عنه واسمه عبدالرّحمن بن صخر. روى البيهقيّ وغيره عن الشّافعيّ رحمه الله قال: أبوهريرة أحفظ من روى الحديث[٢] وآخرهما عبدالله بن عمرو بن العاص وقد قال النّبيّ ﷺ عنه وعن أبيه وأمّه رضي الله تعالى عنهم أجمعين: نِعْمَ أهل البيت عبدُالله وأبو عبدالله وأمُّ عبدالله[٣] وثبت في الصّحيح عن أبي هريرة قال: ماكان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله ﷺ مِنِّي إلّا عبدالله بن عمرو فإنّه كان يكتب ولاأكتب[٤] وماكتبه عبدالله رضي الله تعالى عنه يسمّيه الصّحيفة الصّادقة. وكان رضي الله عنه يقول: لقد حبَّب الحياةَ إليَّ أمران: أحدهما هذه الصّادقة[٥] الّتي كتبها بين يديه ﷺ بإذنه. لقد استأذن عبدالله رضي الله تعالى عنه النّبيّ ﷺ في أن يكتب عنه فأذن له فقال يارسول الله: أكتب ماأسمع في الرّضا والغضب قال نعم فإنّي لاأقول إلّا حقا[٦] ومن أهمّ كتب الشّمائل والأخلاق كتاب الشّمائل المحمّديّة للإمام التِّرمذيّ صاحب سنن التّرمذيّ المولود بترمذ سنة ٢٠٩هـ والمتوفَّى فيها سنة ٢٧٩هـ وقد جمع التّرمذيّ فيه ثلاثمائة وسبعةً وتسعين حديثاً

---

[١] الرّسالة المحمّديّة ٩٣.

[٢] تهذيب الأسماء واللّغات ٢/٢٧٠.

[٣] تهذيب الأسماء واللّغات ١/٢٨١.

[٤] تهذيب الأسماء واللّغات ١/٢٨٢.

[٥] طبقات ابن سعد ٣/٢٣٤.

[٦] طبقات ابن سعد ٣/٢٣٣ وانظر الرّسالة المحمّديّة ٧٩و٨٠.

في شمائله ﷺ[1] وبعض شعر شعراء المصطفى ﷺ جاء في صحيحي البخاريّ ومسلم رضي الله تعالى عنهما.

ثمّ إنّ شخصيّة المصطفى ﷺ من السَّعَة والشّمول بحيث إنّ كلّ إنسانٍ إلى يوم الدِّين يستطيع أن يتّخذ منه ﷺ أسوته الحسنة مهما يكن تخصّص ذلك الإنسان، وكلّه مُنًى أن يوفّقه الله تعالى كي يقطع بضع خطواتٍ في السَّفْح الّذي تخصّص فيه من صرح شمائل المصطفى ﷺ.

والقرآن الكريم نزل في شهر رمضان المبارك. قيل المراد نزوله كاملاً من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السّماء الدّنيا. وقد روي هذا عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما[2] وقيل المراد ابتداء نزوله على المصطفى ﷺ[3] جاء في سورة البقرة المدنيّة[4] في الآية الكريمة الخامسة والثّمانين بعد المائة قوله عزّ من قائل:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

والله سبحانه وتعالى الّذي تكفّل بِحِفْظِ القرآن الكريم إلى يوم الدّين لم يتكفّل بحفظ أيٍّ من الكتب السّماويّة السّابقة. والقرآن الكريم أشار إلى أربعة

---

[1] مقدّمة الشّمائل المحمّديّة ص٣.

[2] انظر – مثلاً– تفسير ابن كثير ٣٠٩/١.

[3] انظر –مثلاً– البحر المحيط ٣٩/٢.

[4] الإتقان ٤٣/١.

كتبٍ سماويّةٍ سابقة، هي على التّوالي، صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين وسلامه. وبشأن صحف إبراهيم وزبور داود عليهما الصّلاة والسّلام لانكاد نعرف عنهما إلّا الاسم. وبشأن توراة موسى وإنجيل عيسى عليهما الصّلاة و السّلام قد تعرّضا بنصّ القرآن الكريم للكثير من التّحريف. وقد أكّدت هذا المعنى دراسات نقد النّصوص الّتي قام بها المتخصِّصون من القوم. ومن أهمّ دراسات نقد نصّ التّوراة كتاب إفحام اليهود الّذي كتبه باللّغة العربيّة الإمام المهتدي السّموءل ابن يحيى المغربي المتوفَّى سنة ٥٧٠هـ وممّا قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً عن التّوراة[١]:" فهذه التّوراة الّتي بأيديهم على الحقيقة كتاب عِزْرا[٢] وليس كتاب الله" ومن أهم دراسات نقد نصّ كلٍّ من التّوراة والإنجيل معاً كتاب القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم الّذي كتبه باللّغة الفرنسيّة ومنها ترجم إلى الكثير من اللّغات، ومنها اللّغة العربيّة الإمام المهتدي المعاصر موريس بُوكاي. وممّا قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعة إنّ الأناجيل بشأن عيسى عليه السّلام كالأحاديث بشأن محمّد ﷺ[٣].

ولتحريف كلٍّ من التّوراة والإنجيل صورٌ مختلفة أشار القرآن الكريم إلى بعضها. كما نصّ على أنّ القرآن الكريم هو الكتاب المهيمن على الكتب قبله،

---

[١] إفحام اليهود ص١٤٠.

[٢] كان عزرا خادماً لملك الفرس، وكان حَظِيّاً عنده. فتوصّل إلى بناء بيت المقدس بعد أن خرّبه بختنصّر، وكتب لليهود التّوراة الّتي بأيديهم لذا فقد كان يسمّى بالكاتب أو النّاسخ. إفحام اليهود ص١٣٩ هامش رقم ١ وانظر ١٤٠ هامش رقم ١.

[٣] انظر القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم ص١٠.

الشّهيد على أنّها أساساً موحًى بها من الله تعالى. وفي هذه المعاني جاء قول الحقّ جلّ وعلا في سورة المائدة[1] المدنيّة[2] الكريمة:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

---

[1] الآيات ٤٤-٤٨.

[2] الإتقان ١/٤٣.

المعنى، والله تعالى أعلم، إنّا أنزلنا التّوراة على موسى عليه السّلام، فيها هدًى من الضّلالة، ونورٌ وضياء ماالتبس من الحكم[١] يحكم بها النّبيّون الّذين أسلموا لله ربّ العالمين لليهود[٢] ويحكم بها العلماء الفقهاء[٣] الحكماء البصراء بسياسة النّاس وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم[٤] ويحكم بها الأحبار وهم العلماء[٥] بما استحفظوا من كتاب الله تعالى، وفي مقدّمتهم الأحبار، وبما استودعوا علمه من التّوراة[٦] وكانوا على هذا الكتاب شهداء بأنّه مُوحًى به من عند الله تعالى. فلاتخشوا أيّها اليهود بعامّة، الأحبار بخاصّة، النّاس واخشوا الله تعالى ولا تأخذكم في الحقّ لومة لائم، ولاتشتروا بآيات الله تعالى ثمناً قليلاً ولاتأخذوا في مقابل خيانة الأمانة عَرَضاً رخيصاً لأنّ تلك هي حقيقة المال الخبيث وإن نال إعجاب الحاصل عليه، لأنّ كلّ تلك الطّرق غير مشروعة. ومن لم يحكم بما أنزل الله تعالى في التّوراة وفي سائر كتبه عزّ وجلّ فأولئك هم الكافرون نعم الله تعالى الجاحدون آلاءه عزّ وجلّ.

وقد كتب الله تعالى على اليهود في التّوراة أنّ النّفس تقتل بالنّفس، والعين تفقأ بالعين، والأنف يُجْدَع بالأنف، والأذن تقطع بالأذن، والسّنّ تقلع بالسّنّ، والجروح يقتصّ فيها إذا أمكن كاليد والرّجل ونحو ذلك من كفٍّ وقدم[٧] فمن تصدّق بالقصاص فعفا فهو كفّارة لذلك المتصدّق لوجه الله تعالى. ومن لم يحكم

---

[١] تفسير الطّبري ١٦١/٦.

[٢] تفسير الطّبري ١٦٢/٦.

[٣] تفسير الطّبري ١٦٢/٦.

[٤] تفسير الطّبري ١٦١/٦.

[٥] تفسير الطّبري ١٦١/٦ و١٦٢.

[٦] انظر تفسير الطّبري ١٦٢/٦.

[٧] انظر– مثلاً– تفسير ابن كثير ١١٤/٣.

بما أنزل الله تعالى بالقصاص فأولئك هم الظّالمون الّذين لم يأخذوا للمظلوم حقّه ممّن ظلمه فلهم عذابٌ أليم.

وقفّى الله تعالى وأتبع على آثار أنبياء بني إسرائيل[١] بعيسى ابن مريم، آخر أنبياء بني إسرائيل، مصدّقاً لما بين يديه وأنزل من قبله التّوراة على موسى عليه السّلام كبير أنبياءٍ بني إسرائيل، وأعطاه عزّ وجلّ الإنجيل، فيه هدًى من الضّلالة، ونورٌ وضياءٌ من عمى الجهالة[٢] ومصدّقاً لما قبله من التّوراة، ومتّبعاً لها، غير مخالفٍ لما فيها إلّا في القليل[٣] وهدًى من الضّلالة في الأحكام وغيرها، وموعظةً للمتّقين، وزجراً لهم عمّا يكرهه الله إلى مايحبّه من الأعمال وتنبيهاً لهم عليه[٤].

وليحكم أهل الإنجيل أتباع عيسى عليه السّلام بما أنزل الله تعالى فيه من الأحكام. ومن لم يحكم بما أنزل الله تعالى فأولئك هم الفاسقون الخارجون عن الصّراط المستقيم.

وأنزلنا إليك يامحمّد الكتاب العزيز بالحقّ، مصدّقاً لما بين يديه من الكتب السّماويّة، ومهيمناً عليها، شهيداً أنّها حقٌّ من عندالله، أميناً عليها حافظاً لها[٥] ِفاحكم بينهم أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم بما أنزل الله تعالى عليك في القرآن الكريم من أحكام. ولاتتّبع أهواء اليهود وغيرهم من إخوانهم المنافقين والكافرين عمّا جاءك يامحمّد من الحقّ، ووصل إليك من الوحي. لكلٍّ جعلنا منكم أيّها الأمم شرعةً أي شريعةً تشرعون فيها،وسبيلاً تسلكونه، وتبدأون

---

[١] تفسير ابن كثير ٣/١١٨.

[٢] تفسير الطّبري ٦/١٧١.

[٣] تفسير ابن كثير ٣/١١٨.

[٤] تفسير الطّبري ٦/١٧١.

[٥] تفسير الطّبري ٦/١٧٢.

سيركم منه في مجال دينكم[1] ومنهاجاً أي طريقاً بيّناً واضحاً سهلاً واسعاً يُفْضِي بكم إلى توحيد ربّكم، وإفراده عزّ وجلّ بالعبادة[2] وهكذا تتعدّد سبُل الأنبياء وتُفْضِي إلى غايةٍ واحدة هي إسلام الوجه لله تعالى. ولو شاء الله تعالى لجعلكم أمّةً واحدةً أتباع نَبيٍّ واحد، ولكن شاء عزّ وجلّ تعدّد السّبل الّتي تفضي إلى غايةٍ نبيلةٍ واحدة ليختبركم عزّ وجلّ فيما أعطاكم من وحي ليعلم عزّ وجلّ المطيع منكم من العاصي[3] فاستبقوا الخيرات، وتنافسوا في عمل الصّالحات. إلى الله تعالى مرجعكم جميعاً يوم القيامة، فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون، ويجازيكم، فيثيب المطيع، ويعاقب العاصي.

وقد أخذ الله تعالى العهد المؤكّد من الّذين أوتوا الكتاب بأن يبيّنوه للنّاس وألّا يكتموه فنبذوه وراء ظهورهم ورموه خلفهم كما يرمي آكل التّمر النَّوَى خلفه كيفما اتّفق واشتروا به ثمناً قليلاً، وابتاعوا بكتمانها ما أُخِذَ عليهم الميثاق ألّا يكتموه من أمر نبوّتك يامحمّد عوضاً منه خسيساً قليلاً من عرض الدّنيا[4] وهذه المعاني أشارت إليها الآية الكريمة السّابعة والثّمانون بعد المائة من سورة آل عمران المدنيّة[5] الكريمة قال عزّ من قائل:

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾

---

[1] انظر هنا تفسير الطّبري ١٧٤/٦ و ١٧٥ وتفسير ابن كثير ١٢٠/٣ و١٢١ ومفردات الرّاغب الأصفهاني:"شرع".

[2] انظر هنا تفسير الطّبري ١٧٤/٦ و ١٧٥ وتفسير ابن كثير ١٢٠/٣ و١٢١ ومفردات الرّاغب الأصفهاني:"نهج".

[3] تفسير الطّبري ١٧٦/٦.

[4] تفسير الطّبري ١٣٤/٤.

[5] الإتقان ٤٣/١.

ومـمّا لـه عَلاقَةٌ بنبـذ أهـل الكتـاب وراء ظهـورهم كتـاب الله تعـالى إخفـاء الكثير من المعاني الّتي بيّن بعضها القرآن الكريم وسكت عن بعضها الآخر. وإلى هذا المعنى أشارت الآيتان الكريمتان الخامسة عشرة والسّادسة عشرة من سورة المائدة المدنيّة. قال عزّ من قائل:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، ياأهل الكتاب السّماويّ الّذي أوحاه الله تعالى إلى كلٍّ من موسى وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام قد جاءكم ووصل إليكم فِعْلاً رسولُنا محمّدٌ ﷺ يبيّن لكم فيما أوحى الله تعالى إليه، من قرآنٍ مجيدٍ على جهة الخصوص، كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب الموحى إليكم عن الخاصّة فضلاً عن العامّة، ويعفو عن كثيرٍ ممّا أخفيتموه، ويترك أخذكم بكثيرٍ ممّا كنتم تخفون من كتابكم الّذي أنزله الله إليكم[1] قد جاءكم من الله تعالى ووصل فعلاً نورٌ وضياء، هو محمّدٌ ﷺ الّذي أنار الله به الحقّ وأظهر به الإسلام ومحق به الشّرك[2] وجاءكم كتابٌ مبينٌ هو القرآن الكريم الكتاب العزيز الّذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، يهدي الله تعالى بهذا الكتاب العزيز الموحى به إلى محمّدٍ ﷺ من اتّبع رضا الله تعالى[3] واتّبع رضوانه

---

[1] تفسير الطّبري ٦/١٠٤.

[2] تفسير الطّبري ٦/١٠٤.

[3] تفسير الطّبري ٦/١٠٤.

عزّ وجلّ سبل السّلام، وطرق النّجاة والسّلامة ومناهج الاستقامة[1] وهو الإسلام الّذي لايقبل من أحدٍ عملاً إلّا به، لا اليهوديّة ولا النّصرانيّة ولا المجوسيّة[2] ويخرجهم من ظلمات الشّرك والجهل، إلى نور التّوحيد والعلم ويهديهم إلى صراطٍ مستقيمٍ يفضي بهم إلى جنّات النّعيم المقيم.

وممّا جاء في هذا المعنى بحقّ بني إسرائيل قوله عزّ من قائل في الآية الكريمة الثّالثة عشرة من سورة المائدة المدنيّة الكريمة:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

فبسبب نقض بني إسرائيل العهد المؤكّد المأخوذ عليهم في الآية الكريمة السّابقة بأن يخلصوا له ولايعبدوا غيره[3] لعنهم الله تعالى وطردهم عزّ وجلّ من رحمته وجعل عزّ وجلّ قلوبهم قاسيةً يحرّفون كلام الله تعالى عن مواضعه الّتي جعله الله تعالى فيها، ومعانيه الّتي قصدها الشّارع الحكيم، ويحرّفون كلام ربّهم الّذي أنزله على نبيّهم موسى عليه السلام وهو التّوراة فيبدّلونه ويكتبون بأيديهم غير الّذي أنزله جلّ وعزّ على نبيّهم ويقولون لجهّال النّاس هذا هو كلام الله الّذي أنزله على نبيّه موسى عليه السلام والتّوراة الّتي أوحاها إليه[4] ونَسِيَ بنو إسرائيل حظّاً ممّا ذكّروا به، ونسوا الله تعالى فنسيهم، وتركوا العمل فصاروا إلى حالةٍ رديئة، فلا

---

(1) تفسير ابن كثير ٦٣/٣.

(2) تفسير الطّبري ١٠٤/٦.

(3) تفسير الطّبري ٩٥/٦.

(4) تفسير الطّبري ١٠٠/٦.

قلوب سليمة، ولافطر مستقيمة، ولاأعمال قويمة[1] ولاتزال أيّها الرّسول الكريم، والنّبيّ العظيم، تطّلع على خيانة[2] من القوم، يعني مكرهم وغدرهم لك ولأصحابك[3] إلّا قليلاً منهم وهم الّذين أسلموا لله تعالى ربّ العالمين واتّبعوك. فاعف عنهم واصفح عنهم وأقبل عليهم بصفحة وجهك وخدّك دليل العفو الأكيد. إنّ الله تعالى يحبّ الّذين بلغوا في كلّ أعمالهم الصّالحة مرتبة الإحسان. قال قتادة: هذه الآية الكريمة منسوخة بالآية الكريمة التّاسعة والعشرين من سورة التّوبة. قال عزّ من قائل:

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾[4]

وفي هذا المعنى ذاته من تحريف بني إسرائيل التّوراة جاء قول الحقّ في الآية الكريمة الحادية والأربعين من سورة المائدة الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ

---

[1] تفسير ابن كثير ٣/٦٢.

[2] تفسير الطّبري ٦/١٠٠.

[3] تفسير ابن كثير ٣/٦٢.

[4] تفسير ابن كثير ٣/٦٢.

تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، ياأيّها الرّسول الكريم. وهذا أوّل موضع في القرآن الكريم يُنادَى فيه النّبيّ ﷺ بصفة الرّسالة. والموضع الثّاني والأخير في الآية الكريمة السّابعة والسّتّين من السّورة الكريمة ذاتها. وليس لهذين الموضعين ثالث في القرآن الكريم كلّه. ياأيّها الرّسول الكريم لايحزنك الّذين يسارعون في الكفر والارتداد إليه من الّذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن اليهود عموما، يهود بني قريظة خصوصاً.

هؤلاء اليهود سمّاعون للكذب عموماً، سمّاعون لقوم آخرين من اليهود لم يأتوك وهم يهود خيبر الّذين زنا فيهم رجلٌ وامرأة، والّذين يحرّفون كلام الله تعالى من بعد مواضعه الّتي وضعه الله تعالى فيها في التّوراة كآية الرّجم[1] ويغيّرون حكم الله تعالى[2] من بعد وضع الله ذلك مواضعه[3] يقول هؤلاء اليهود الّذين بدّلوا أحكام التّوراة إن أنتم أتيتم محمّداً وسألتموه عن حكم الزّاني فأجابكم بالحكم الّذي أنتم ابتدعتموه في حقّ الزّاني المحصن فخذوا هذا الحكم واقبلوه وهو الجلد مائة جلدة[4] بِحَبْلٍ من ليف مطليّ بقار[5] وتسويد

---

(١) الجلالين.

(٢) تفسير الطّبري ١٥٣/٦.

(٣) تفسير الطّبري ١٥٣/٦.

(٤) تفسير ابن كثير ١٠٥/٣.

(٥) تفسير الطّبري ١٥٠/٦.

الوجه[١] بالحُمم، كصُرد الفحم، واحدته بِهاء[٢] والإركاب على حمارين مقلوبين[٣] بأن يحمل الزّاني والزّانية على حمارين وتحوّل وجوههما من قبل دبر الحمار[٤] وإن لم يؤتكم محمّد هذا الحكم الّذي ابتدعتموه وحكم بما في التّوراة والقرآن فاحذروا هذا الحكم وارفضوه!

ومَنْ يرد الله تعالى يامحمّد فتنته وضلالته عن سبيل الهدى[٥] وقصد السّبيل[٦] فلن تملك له يامحمّد شيئاً ينفعه. أولئك الّذين لم يرد الله تعالى أن يطهّر قلوبهم من دنس الكفر ووسخ الشّرك[٧] لهم في الدّنيا خزيٌ وذلّ وهوان، ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم في نار الجحيم.

وإليك هذه الآية الكريمة الثّامنة والسّبعين من سورة آل عمران المدنيّة الكريمة. قال عزّ من قائل:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، وإنّ من أهل الكتاب، اليهود والنّصارى عموماً، يهود يثرب خصوصاً، لفريقاً يلوون ألسنتهم بما يكتبون لتحسبوه من الكتاب الموحى به من ربّ العالمين، ويتعمّدون النّطق به في طريقةٍ توهم بأنّه من الكتاب

---

[١] تفسير الطّبري ٦/١٥٠.

[٢] القاموس المحيط:"حمم".

[٣] تفسير ابن كثير ٣/١٠٥ و١٠٦ و١٠٧.

[٤] تفسير الطّبري ٦/١٥٠.

[٥] تفسير الطّبري ٦/١٥٤.

[٦] تفسير الطّبري ٦/١٥٤.

[٧] تفسير الطّبري ٦/١٥٤.

الموحى، وماهو من الكتاب، ويتمادون في الكذب فيقولون هو موحًى به من عند الله تعالى، وماهو من عندالله تعالى، ويقولون على الله تعالى الكذب وهم يعلمون أنّهم كاذبون عن عَمْدٍ وسَبْقِ إصْرار.

ويتأكّد إبداء اليهود أشياء من التّوراة وإخفاؤهم أشياء أخرى وإظهار القرآن الكريم الكثير من العلم الذّي أخفاه اليهود والّذي لم يُعْلَمْ من ذي قبل أصلاً وعُلِمَ بالقرآن الكريم، يتأكّد كلّ ذلك في الآيتين الكريمتين الحادية والتّسعين والثّانية والتّسعين من سورة الأنعام المكّيّة[1] قال عزّ من قائل:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، وماقدروا الله تعالى حقّ قدره وما أجلّه مشركو مكّة حقّ إجلاله ولاعظّموه حقّ تعظيمه[2] إذ قالوا بكلّ وقاحةٍ ماأنزل الله تعالى على بَشرٍ من شيءٍ من الكتب السّماويّة، بما في ذلك القرآن الكريم. ولمّا كانت العلاقة متينةً بين مشركي مكّة ويهود يثرب إلى الحدّ الّذي يسأل معه المشركون اليهود أيّ الدّينين حق؟ دين محمّد أو دينهم فلايتورّع اليهود عن القول: إنّ دين المشركين هو الحقّ! إنّ العلاقة بين الفريقين لما كانت كذلك فإنّ الحقّ جلّ

---

[1] الإتقان ٤٣/١.

[2] تفسير الطّبري ١٧٦/٧.

وعلا يأمر المصطفى ﷺ بأن يسأل قائلاً: من أنزل الكتاب السّماويّ الّذي جاء به موسى عليه السّلام نوراً يهتدي به السّائرون، وهدىً للنّاس يهتدي به الحائرون. ويتحوّل الحديث إلى اليهود ويخاطبهم ويقول لهم بصريح اللّفظ: إنّ هذا الكتاب الموحى به من ربّ العالمين تجعلونه قراطيس أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصليّ الّذي بأيديكم وتحرّفون منها ما تحرّفون، وتبدّلون وتتأوّلون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وماهو من عندالله[1] وتبدون بعض هذه القطع وتخفون كثيراً منها. لقد علّمكم الله تعالى جميعاً بالقرآن الكريم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم. ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يجيب على السّؤال الّذي طرحه. قل يامحمّد الله تعالى هو الّذي أنزل التّوراة على موسى عليه السّلام، ثمّ اتركهم في خوضهم يلعبون، وفي باطلهم يعبثون.

وهذا القرآن الكريم كتاب أنزلناه مباركٌ مصدّق الّذي قبله من الكتب السّماويّة، ولتنذر به يامحمّد أمّ القرى ومن حولها من المدن حتّى تغطّى الأرض كلّها. والّذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بالقرآن الكريم وهم على صلاتهم يحافظون ويقيمون.

ولايكاد العجب ينتهي من اليهود حينما يسألهم كفّار مكّة عن الدّين الصّحيح فيجيبون بأنّ دين المشركين هو الصّحيح وأنّ الدّين الّذي جاء به محمّدٌ ﷺ غير صحيح فاستحقّوا اللّعن من الله تعالى والطّرد من رحمته عزّ وجلّ. جاء في الآيات الكريمات من الحادية والخمسين إلى الخامسة والخمسين

---

[1] تفسير ابن كثير ٣/٢٩٤.

من سورة النّساء المدنيّة[1] الكريمة قول الحقّ جلّ وعلا:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

المعنى، والله تعالى أعلم، ألم تر يامحمد فتعجب ويأيّها المؤمن، الّذين أوتوا نصيباً من الكتاب السّماويّ وهم اليهود يؤمنون بالجبت والسّحر، وبالطّاغوت والشّيطان الرّجيم[2] ويقولون للّذين كفروا من أهل مكّة: هؤلاء المشركون أهدى سبيلاً من الّذين آمنوا، واتّبعوا محمّداً ﷺ، وأفردوه عزّ وجلّ بالعبادة. أولئك الّذين لعنهم الله تعالى وطردهم من رحمته. ومن يلعن اللهُ تعالى فلن تجد له نصيراً ومعينا. أم لهؤلاء اليهود نصيبٌ من الملك في هذه الحياة الدّنيا. إنّ ذلك لو صَحَّ لهم فإنّهم لن يؤتوا النّاس شيئاً ولو كان بمقدار النُّقرة في ظهر النّواة[3] الّتي لاتَعْني شيئاً. أم يحسد هؤلاء اليهود النّاس على ماآتاهم الله تعالى من فضله، وذلك باصطفاء محمّدٍ ﷺ من العرب مادّة الإسلام الأولى. ولماذا يحسدون محمّداً ﷺ والعرب الّذين بعثه الله تعالى فيهم، فقد آتى الله تعالى آل إبراهيم

---

[1] الإتقان ١/٤٣.

[2] تفسير الطّبري ٥/٨٣.

[3] تفسير الطّبري ٥/٨٧.

عليه السّلام الكتب السّماويّة، والحكمة أي النّبوّة[1] وآتاهم الله تعالى ملكاً عظيماً مثل ملك سليمان عليه السّلام[2] فمن هؤلاء اليهود من آمن بهذا الإيتاء ومنهم من كفر وكفى بجهنّم سعيراً في حقّ هؤلاء الكافرين الصّادّين الحسودين، الّذين سوف يدخلون النّار وبئس القرار.

وهؤلاء الّذين يحسدون محمّداً ﷺ والمسلمين يريدون أن يُطْفِئوا نور الله تعالى بأفواههم، ويأبى الله تعالى إلّا أن يتمّ نوره، وأن يظهر دين الإسلام الّذي بعث به محمّداً ﷺ على الدّين كلّه ولو كره الكافرون والمشركون. لقد جاءت هذه المعاني في الآيتين الكريمتين الثّانية والثّلاثين والثّالثة والثّلاثين من سورة التّوبة المدنيّة[3] الكريمة. قال عزّ من قائل:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

كما جاءت هذه المعاني في الآيتين الكريمتين الثّامنة والتّاسعة من سورة الصّفّ المدنيّة[4] الكريمة. قال عزّ من قائل:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

---

(1) الجلالين.

(2) تفسير الطّبري ٥/٨٩.

(3) الإتقان ١/٤٣.

(4) الإتقان ١/٤٣.

وقد بعث الله تعالى محمّداً ﷺ بدين الإسلام الّذي لايقبل الله تعالى ديناً سواه، والّذي أكمله الله تعالى ورضيه لنا وأتمّ به النّعمة علينا. وهذه المعاني جاءت في الآية الكريمة التّاسعة عشرة من سورة آل عمران. قال عزّ من قائل:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾

وفي الآية الكريمة الخامسة والثّمانين من سورة آل عمران. قال عزّ من قائل:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾

وفي الآية الكريمة الثّالثة من سورة المائدة. قال عزّ من قائل:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾

ودين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به النّبيين عموماً، محمّداً ﷺ خصوصاً، هو دين الفطرة الّتي فطر الله تعالى النّاس عليها، فهي متّجهةٌ بطبعها إلى توحيد الله تعالى، وهكذا خلقها الله تعالى. وتوحيد الله تعالى هو الدّين المستقيم الّذي دعا الله تعالى النّاس للإنابة إليه، والتّحلّي بالتّقوى، وإقامة الصّلاة أكبر الأدلّة على التّقوى. والله تعالى حذّر من الشّرك في كلّ صوره.

والعجيب أنّ كلّ حلّ حِزْبٍ فَرِحٌ بما لديه من دين، سعيدٌ بما لديه من اعتقاد. وإلى هذه المعاني أومأت الآيات الكريمات في سورة الرّوم المكّيّة[1] الكريمة من الثّلاثين إلى الثّانية والثّلاثين. قال عزّ من قائل:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

والنّبيّ ﷺ كان خلقه القرآن الكريم. وقد نصّت سورة القلم على خلقه العظيم ﷺ وقد جاء في سورة القلم المكّيّة[2] من الآية الكريمة الأولى إلى الرّابعة قوله عزّ من قائل:

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

وكان النّبيّ ﷺ يقوم اللّيل ويرتّل القرآن الكريم حتّى تتورّم قدماه فنهاه الله تعالى عن أن يشقّ على نفسه. جاء في الآيات الكريمات الأربع الأُوَل من سورة طه المكّيّة[3] قوله عزّ من قائل:

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

---

(١) الإتقان ١/٤٣.

(٢) الإتقان ١/٤٢.

(٣) الإتقان ١/٤٣.

والنّبيّ محمّدٌ ﷺ هو النّبيّ الوحيد الّذي جمع الله تعالى في حياته بين النّجاح في مجال كلٍّ من الدّعوة بالقضاء على الشّرك والدّولة الّتي غطّت شبه جزيرة العرب، وهي أكبر شبه جزيرةٍ في الدّنيا، وتشكّل زهاء سدس العالم الإسلاميّ. وقد توّجت فتوحاته ﷺ بصلح الحديبية الّذي كان في ذي القعدة سنة ستّ من الهجرة والّذي أدّى إلى فتح مكّة المكرّمة، فتح الفتوح، وقد تمّ ذلك في شهر رمضان المبارك سنة ثمانٍ من الهجرة. وقد أشارت إلى هذا الصّلح الّذي عُبِّر عنه بالفتح المبين سورة الفتح المدنيّة[1] جاء في الآيات الكريمات الثّلاث الأول قوله عزّ من قائل:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾

ولم تمض مائة سنة على وفاة النّبيّ ﷺ حتّى كانت دولة لا إلهَ إلّا الله محمّد رسول الله ممتدّةً دون انقطاع من حدود الصّين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً. إنّ هذا الفتح المبين تمّ مصداقاً لوعد الله تعالى للرّجال المؤمنين الّذين صدقوا ماعاهدوا الله تعالى عليه فمنهم من اسْتُشْهِد ومنهم من ينتظر ومابدّلوا تبديلاً. وإلى هذا الوعد أشارت الآية الكريمة الخامسة والخمسون من سورة النّور المدنيّة[2] الكريمة. قال عزّ من قائل:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ

---

[1] الإتقان ١/٤٣.

[2] الإتقان ١/٤٣.

لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

لقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية:

٢٨- القصيدة السّادسة والثّلاثون(٤٧١)بَيْتاً

محمّدٌ ﷺ الأُسْوَة الحَسَنَة (من الطّويل)

١- إلهـــيَ لا أُحْصِـــي عليـــك ثَنـــاءَ ... بَعَثْـــتَ لنـــا المُخْتـــارَ فـــاقَ بَهـــاءَ

٢- محمّـــدٌ المختـــارُ نُـــورُ قُلُوبِنـــا ... وبَهْجَـــةُ دُنْيـــانا صَـــباحَ مَســـاء

٣- إلهِـــيَ قـــد أَرْسَـــلْتَ أَحْمَـــدَ رَحْمَـــةً ... تَعُـــمُّ سَـــناً كُـــلَّ الـــوَرَى وسَـــناء[١]

٤- إلهِـــيَ قـــد أَنْقَـــذْتَنا بِمُحَمَّـــدٍ ... ولـــولاه كُنّـــا لِلْجَحِـــيمِ شِـــواء

٥- ويارِبّ ثبِّتْنـا علـى الـدِّينِ تَرْتَضِـي ... ويارِبّ واجْعَلْنـــا لَـــهُ أُمَنـــاء

٦- ويارَبَّنـــا إنّ الـــذُّنُوبَ كَثِـــيرَةٌ ... وإنّ لنـــا يارَبّ فيـــكَ رَجـــاء

٧- ويارَبَّنـــا إنّ الـــدّمُوعَ كَثِـــيرَةٌ ... ولـــولا رَجـــاءُ العَفْـــوِ صِـــرْن دِمـــاء

٨-ذُنُـــوبٌ بِأَحْجـــامِ الجِبـــالِ ضَـــخامَةً ... تَصِـــيرُ إذا يَعْفُـــو الكَـــرِيمُ هَبـــاء

٩- وقـــد وَعَـــدَ الـــرّحمنُ تَبْـــدِيلَ سَـــيِّءٍ ... إلى حَسَـــنٍ مَـــنْ لِلْمُهَـــيْمِنِ فـــاء

١٠- ويارَبّ بَـــدِّلْ سَـــيِّءَ الفِعْـــلِ طَيِّبـــاً ... وأَجْـــزِلْ لِمَـــنْ قـــد خـــافَ منـــك جَـــزاء

١١- ويارَبِّ قـد عُـدْنا إليـك فكـن لنـا ... مُعِينـــاً ولاتُشْـــمِتْ بنـــا بُغَضـــاء

١٢- نَظَرْتُ إلى الدُّنيا وقد حان مَوْعِدٌ ... بِبِعْثَـــةِ طـــهَ حـــين رَبُّـــكَ شـــاء

١٣- فلـم أَرَ في ذا الكَـوْنِ إلّا مُبَغَّضـاً ... رِجـــالاً إذا كـــانوا وكُـــنَّ نِســـاء[٢]

١٤- وأَسْـــتَغْفِرُ الـــرّحمنَ إلّا بَقِيَّـــةً ... هُـــمُ مَـــنْ تَسَـــمَّوْا وَقْتَهـــا حُنَفـــاء

١٥- أَرادُوا بِجِـدٍّ أن يُـرَى الـدَّرْبُ مُوصِـلاً ... إلى دِيـــنِ إبـــراهيمَ فـــاقَ صَـــفاء

١٦- حَنِيفِيَّـةٌ لايَعْـرِفُ النّـاسُ كُنْهَهـا ... إذا لم يكـــن وَحْـــيٌ أَتَـــى النُّجَبـــاء

١٧- وأَنَّى لهـــم هـــذا فـــإنّ محمّـــداً ... هـــو النُّـــورُ والأَضْـــواءُ إن هُـــوَ جـــاء

١٨- وأمّـا رِجـالُ الـدِّينِ أَتْبـاعُ مِلَّـةٍ ... سَماوِيَّـــةٍ فالكُـــلُّ كـــان أَســـاء

١٩- وأَفْضَـلُهُمْ قد كان في الدَّيْرِ مُغْلِقاً ... عليـــه رِتاجَ البـــابِ لا نُـــدَماء[٣]

---

[١] سنا: ضوء ساطع. الورى: الخلق. سَناء: علوٌّ وارتفاع.

[٢] مبغّض: يبغض كثيرا.

[٣] الدَّير: دار الرّهبان والرّاهبات. والرِّتاج: الباب العظيم. ندماء جمع نديم المسامر.

٢٠- وبَعْضُـهُمُ في رَأْسِ صَـوْمَعَةٍ بَـدا كَوَعْـلٍ وإن فـاقَ الأَنامَ دَهـاء[١]

٢١- وليس لدى الأَقْوامِ عِلْمٌ ولا حِجاً وإن كُنْـتَ قـد سَمَّيْـتَهُمْ نُصَـحاء[٢]

٢٢- هنـاك أُناسٌ رَبُّـكَ الحَـقُّ صـانَهُمْ وقـد ظَهـرُوا كـي يَحْمِلُـوا النُّبَـآء[٣]

٢٣- وذلـك فَضْـلُ اللهِ قـد خَصَّـهُمْ بِـهِ وكـان جميـعُ المرسـلينَ سَـواء

٢٤- لقد طَهُرَتْ أَصْلابُ من وَضَعُوهُمُ بِطُهْـرٍ ومـن كانَـتْ هِـي النُّفَسـاء

٢٥- وقـد عَمَّ داءُ الشِّـرْكِ في كُـلِّ بَلْـدَةٍ إذا عَـزَّ داءُ الشِّـرْكِ عَـزَّ دواء[٤]

٢٦- ولم تَـنْجُ مـن ذا الـدّاءِ أَرْضٌ وَأُمَّـةٌ قَـرِيبِينَ كـان القـومُ أو بُعَـداء

٢٧- ومِـنْ عَجَـبٍ أن كـان مَهْـدُ عُرُوبَـةٍ زَعِيمـاً لِمَـنْ كـانوا لَـهُ شُـرَكاء

٢٨- إذا غـابَ تَوْحِيـدٌ تَغِيـبُ مُـرُوءَةٌ وتُصْـبحُ نُعْمَـى مـايكون شَـقاء[٥]

٢٩- إذا شِـئْتَ فاسْـأَلْ فارسـاً كيـف عِرسُـه أباحَ لهـا أن تَسْـتَحِلَّ زِناء[٦]

٣٠- أباحَ لهـا تلـك الرَّذِيلـةَ قَصْـدُهُ مَجِـيءُ شُـجاعٍ لايَهـابُ لِقـاء!

٣١- ومِـنْ عَجَـبٍ أنّ الّـذي قـد أباحَـهُ لَيَقْتُـلُ بِنْتـاً غَيْـرَةً وعَـداء[٧]

٣٢- عَجِيبٌ لِأَمْرِ النّاسِ في حالِ غَيْبَةٍ لِـدِينٍ وَأَمْسَـى حـالُهُمْ غُلَـواء[٨]

٣٣- إذا كـان مَهْـدُ العُرْبِ قد آل حالُهُ وَبالاً وإبـراهيمُ فيـه أَضـاء

٣٤- مَكـارِمُ أَخْـلاقٍ إلى الـوَحْيِ تَنْتَمِـي وَوَرَّثَهـا مـن بعـده الصُّـلَحاء

---

[١] الوعل: تيس الجبل.

[٢] حِجا: عقل.

[٣] نبآء، جمع نبئ وهو النَّبِيّ.

[٤] عزّ الأولى: أصبح عزيزاً. وعزّ الأخرى: غلب.

[٥] نعمى، بضمّ النّون: نَعْماء وخفض ودَعة.

[٦] عِرْس: زوج للذّكر والأنثى. زِناء: زنى. وكان الرّجل في الجاهليّة يعجبه الفارس فيبعث زوجته ليجامعها الفارس فتنجب فارِساً مثله!

[٧] أباحه: أباح الزّنا. عداء، بفتح العين: ظلم.

[٨] غلواء: غلوّ.

٣٥- وكِلْمَـــةُ تَوْحيـــدٍ تَعُـــودُ غَرِيبَـــةً وقـــد شـــابَهَا التَّثْلِيـــثُ فـــاقَ بَـــذاء[١]

٣٦- فـأين يُرَجَّـى الخَيْـرُ؟ هـل عنـد أُمَّـةٍ تُقَـــــدِّسُ ناراً مَـــــرَّةً وذُكَـــــاء[٢]

٣٧- ويَعْبُـــدُ كُـــلٌّ رَبَّـــهُ فَهْـــوَ دُمْيَـــةٌ ولَسْـــتَ تَـــرَى يَوْمـــاً لَدَيْـــهِ جَـــداء[٣]

٣٨- جَمِيـعُ الّـذي يَهْـواهُ يأتيـهِ جَهْـرَةً إذا شـــــاءَ مَجْـــــداً أو أرادَ هَنـــــاء

٣٩- فأنـتَ تَـرَى مَلْكـاً تَـزَوَّج أُخْتَـهُ وبِنْتـــاً لَـــهُ مـــاتَمَّ ذاك خَفـــاء[٤]

٤٠- لقد كان ذا في عُرْفِهِمْ غَيْرَ مُنْكَرٍ لِهـــذا بِحَـــقٍّ لُقِّبـــوا سُـــفَهاء

٤١- ولم يـك عنـد القـوم عَهْـدٌ وذِمّـةٌ وكـــان ضَـــحايا حَـــرْبِهِمْ ضُـــعَفاء

٤٢- ولـيس يَهُـمُّ القَـوْمَ إلّا تَمَلُّـكٌ لِخَـيْرٍ ولـو قـد كـان ذلـك شـاء

٤٣- وسَلْ أَرْضَ مِصْرٍ واسْأَلِ الشّامَ أُخْتَها ألم تـــك كُـــلٌّ غَلَّـــةً وجِبـــاء

٤٤- مكـانَكُمُ يامُسْتَضْـعَفُون فَـأنْتُمُ خُلِقْـتُمْ عَبِيـدَ مُلُـوَككُمْ وإِمـاء[٥]

٤٥- يَبِيعُـونَكُمْ بَيْـعَ البَهِيمَـةِ جُمْلَـةً ومـن شـاءَ مـنهم باعَكُـمْ فُرَقـاء[٦]

٤٦- أليس مَلِيكُ القَـوْم مـاءَ سَمـائِهِمْ ومـاءُ سَمـاءِ القَـوْمِ فـاق عَـلاء![٧]

٤٧- أليس بِمـاءِ المُـزْنِ تُقْـرَنُ عـادَةً رُعُـــودٌ وأَنْهـــارٌ تَصِـــير تَـــواء[٨]

٤٨- عليكم بِصَبْرٍ إنّه الصَّبْرُ وَحْدَهُ يَجِـــيءُ بِـــرَوْحٍ تلكـــمُ الغُـــرَباء[٩]

٤٩- وإن لم يكـن صَـبْرٌ فَقَبْـرٌ يَضُـمُّكُمْ لقـد صـارَ عِبْئـاً مـن يكـونُ غُثـاء

٥٠- إذا كـان أَحْـرارُ الـجَماعَةِ عُومِلُـوا عَبِيـداً فَكَيْـفَ العَبْـدُ نِيـلَ شِـراء

٥١- ومـارَفَعُوا عـن مُسْـتَوَى الشَّـيْءِ عَبْـدَهُمْ وشَـــيْءٌ كهـــذا لايُثِـــيرُ عَنـــاء

---

[١] كِلْمة: كلمة ولفظة واحدة. بذاء، بفتح الباء: فحش القول.

[٢] ذكاء، بضمّ الذّال: الشّمس.

[٣] دمية: صنم. جداء ، بفتح الجيم: غَناء ونفع وخير.

[٤] الملك بسكون اللّام هو الملك بكسرها.

[٥] مكانكم: الزموا مكانكم.

[٦] فرقاء، جمع فريق، بمعنى الطّائفة من النّاس أكبر من الفرقة.

[٧] يسمّى الصّينيّون ملكهم ابن ماء السّماء. فهو في اعتقادهم ثمرة زواج السّماء وهي ذكر بالأرض وهي أنثى.

[٨] المزن: السّحاب يحمل الماء. تواء، بفتح التّاء: هلاك.

[٩] روح، بفتح الرّاء: راحة.

٥٢- وإذْ كـان حُكّـامٌ تَطُـولُ سَمـاء ... وشَـعْبٌ يُعـانِي دائِمـاً بُرَحـاء[1]

٥٣- فهـل يُرْتَجَى يومـاً وِفـاقُ جُمـوعِهِمْ ... وقـد مَـصَّ هـذا مـن أَخِيـهِ دِمـاء!

٥٤- وَأَخْطَرُ ماالأَقْوامُ فيه قد ابْتُلُوا ... عَقِيـدَتُهُمْ والـدّاءُ كـان عَيـاء[2]

٥٥- ومَعْنَى فَسادِ الدِّينِ بُعْدٌ عن الهُدَى ... وَوَحْـيٍ أليس الـدِّينُ عـادَ هـواء

٥٦- بِأعْماقِهـا الأَخْـلاقُ كـان أَصـابَها ... سِـهامُ المنـايا مـاتَرَكْنَ ذَمـاء[3]

٥٧- وما كان في الأَقْوامِ يَبْدُو مَكارِماً ... أَرادُوا بهـا المُـدّاحَ والشُّـعَراء

٥٨- وماقَصَـدُوا وَقْتـاً بهـا وَجْـهَ ربِّهِـمْ ... ولـو أَطْعَمُـوا الأَهْلِـينَ والغُـرَباء

٥٩- وهـذا كَـرِيمُ القَـوْمِ حـاتِمُ طَـيِّءٍ ... أراد ثَنـاءً حـين فـاضَ عَطـاء

٦٠- ومـا كـان يَنْـوِي بالعَطـاءِ ثَوابَـهُ ... مـن اللهِ ذي الإِكْـرامِ فـاضَ سَـخاء

٦١- وتَمَّ لـه ماقـد أراد ثنـاءَ ... بِـدُنْيا فَنـاءٍ وَقْـتَ زارَ فِنـاء[4]

٦٢- ومَـنْ ذا الّـذي لايَمْـدَحُ الشَّـهْمَ حاتِماً ... وإن كـان أَبْقَـى أَهْلَـهُ فُقَـراء

٦٣- بِمِقْيـاسِ دِيـنِ اللهِ كـان مُبَـذِّراً ... ولم يـكُ مـن قـد بَـذَرُوا حُكَمـاء

٦٤- ومن يُنْفِقِ القِنْطارَ في الخَيْرِ لم يُرِدْ ... بِـهِ وَجْـهَ مَـوْلاهُ يَصِـيرُ هَبـاء

٦٥- ومن يُنْفِقِ الدِّينارَ في الشَّرِّ لم يَزِدْ ... علـى كَـوْنِ غِـرٍّ كَـرَّمَ اللُّؤَمـاء

٦٦- ومن يُنْفِقِ الأَمْوالَ في الخَيْرِ يَرْتَجِي ... ثَـوابَ إلـهَ العَـرْشِ نالَ حِبـاء[5]

٦٧- معانٍ سَمَتْ لايَعْرِفُ القَوْمُ كُنْهَها ... وتلـك معـانٍ فاتَـتِ البُصَـراء

٦٨- ولـيس لهـا بِالأَرْضِ يومـاً عَلاقَـةٌ ... ولكنَّـهُ وَحْـيٌ أَتَـى الفُهمـاء

٦٩- وَعنْتَـرَةُ العَبْسِـيُّ هـل كـان هَمُّـهُ ... سِـوَى أن يُقـالَ الـرُّمْحُ فـاقَ مَضـاء

---

[1] برحاء: شدّة. ومنه برحاء الحمّة.

[2] داء عياء، بفتح العين: شديد لاطبّ له ولابُرْء منه.

[3] ذماء، بفتح الذّال: بقيّة الرّوح في المذبوح.

[4] زار فناء: زار قبوراً.

[5] حباء، بكسر الحاء: عطاء غزير و إكرام.

٧٠- وأنّ لِسَيْفِ الشَّهْمِ في الحَرْبِ صَوْلَةً يَبُزُّ بها الشُّجْعانَ والنُّبَلاء[١]

٧١- عَجِبْتُ له إذ قد تَحَيَّرَ حينما يكون نَصيبُ الزَّوْجِ منه سِباء

٧٢- يقول بِأَنِّي قد جَهِلْتُ مكانَها ولو كنتُ أَدْرِي مابَكَيْتُ بُكاء[٢]

٧٣- رَكِبْتُ جَواداً أَبْجَرَ البَطْنِ ضَخْمَهُ إذا سار ظُهْراً خالَ ذاك ضَحاء[٣]

٧٤- ولاتَعْرِفُ الأقوامُ طُهْراً وعِفَّةً وليس مُهِمّاً إن بَدَوْا خُلَطاء[٤]

٧٥- وليس يَهُمُّ المرءَ إلّا رجُوعُها وليس الّذي قد تَمَّ قَبْلُ خَفاء

٧٦- فذلك مَأْلُوفٌ وشِرْعَةُ غابَةٍ فمن عَزّ بَزَّ الآخَرِينَ ثَراء[٥]

٧٧- ألا إنّ هذا مَنْطِقُ القومِ قد غَدَوْا هَواءً وما قالُوا يَفُوقُ هُراء

٧٨- وماذا الّذي تَرْجُو من القومِ بَعْدَما بَدا الدِّينُ مِثْلَ النَّجْمِ عنك تَناءَى[٦]

٧٩- ولم تك أَرْضُ العُرْبِ وَقْتاً بِنَجْوَةٍ من الدّاءِ لكن قد تَفُوقُ وَباء

٨٠- وأيُّ وَباءٍ فاقَ وَأْدَ وَلِيدَةٍ إذا نَطَقَتْ يَوْماً تُكَرِّرُ باء[٧]

٨١- ورُبَّ أبٍ إذ كان يَحْفِرُ حُفْرَةً أَعانَتْهُ بِنْتٌ كي تُزِيلَ عَناء

٨٢- ولم تَرَ بِنْتٌ عند فَظٍّ مَخافَةً من اللهِ رَبِّ العَرْشِ بَلْهَ رَجاء[٨]

٨٣- إذا كان قومٌ كَبَّرُوهُنّ رَغْبَةً إذا كَبُرُوا فالعُرْبُ أَكْبَرُ داء

٨٤- تَقاسَمَ كُلُّ النّاسِ قَبْلَ محمّدٍ بَلاءً بِهِ كانوا هم السُّعَداء

٨٥- وربُّك لايَخْفَى عليه سَرِيعُهُمْ شِفاءً إذا ما الدّاءُ نالَ دَواء

٨٦- وأَخْطَرُ أَنْواعِ البَلاءِ عَقِيدَةٌ إذا شابَها شِرْكٌ يَزِيدُ خَفاء

---

(١) يبزّ: يغلب.

(٢) لو كنت أدري: لو كنت أدري مكانها.

(٣) الأبجر: العظيم. ضحاء، بفتح الضّاد: ضحى.

(٤) ثمّة إشارةٌ على اختلاط الأنساب في العصر الجاهليّ إلّا من رحم ربّك.

(٥) بزّ: سلب.

(٦) تناءى: بعد.

(٧) أي تقول: بابا.

(٨) بله: اسم فعل بمعنى دع.

٨٧- وأَسْـرَعُ قـومٍ عَـوْدَةً لِمَلِـيكِهِمْ هُـمُ القَـوْمُ قـد كـانُوا هـم البُسَـطاء[١]

٨٨- لقـد آمنـوا باللهِ رَبّاً وخالِقـاً وكـانوا لِإشْـراكٍ بِـهِ تُعَسـاء

٨٩- لقـد حَسِـبوا أنّ البُلُـوغَ لِغايَـةٍ لَـدَى رَبِّهِـمْ أن يَجْعَلُـوا وُسَـطاء

٩٠- وإذ كـان تَفْكِـيرٌ سَـقِيمٌ يَقُـودُهُمْ فقـد أَشْـرَكُوا إذ عَيَّنُـوا سُـفَراء

٩١- ملائِكَـةُ الـرّحمنِ نحـن نُرِيـدُهُمْ لنـا كـي يَكُونُـوا عنـده شُـفَعاء

٩٢- أليسـوا بنـاتِ اللهِ! سـاءَ مَقـالُهُمْ وسـاءَ اعْتِقـادٌ ثمّ سـاءَ وسـاء

٩٣- هـو اللهُ ربُّ العَـرْشِ أَوْجَـدَ كَوْنَـهُ وأَتْقَنَـهُ ولقـد أَشـادَ بِنـاء

٩٤- ولـيس لِـرَبِّ العَـرْشِ بِنْـتٌ وزَوْجَـةٌ فكيـف بِشِـرْكٍ قـد دَهـا البُؤَسـاء

٩٥- هَـوَى النَّفْسِ والشَّـيْطانُ قـد رَكِبـا وقـد أَهاجـا علـى نارٍ وسـاءَ بَقـاء[٢]

٩٦- ومِـنْ عَجَـبٍ هـم يُبْغِضُـون بَنـاتِهِمْ ويَرْضَـوْنَ بِنْتـاً للمليـكِ غَبـاء!

٩٧- وإذ قـد أَرادُوا للمليـكِ شَـفاعَةً إِذَنْ بِنْتُـهُ! ويـلٌ لكـم خُبَثـاء

٩٨- وهـم رَسَمُـوا في الـذِّهْنِ شَـكْلَ مَلائِـكٍ بِرَسْـمٍ ونَحْـتٍ قـد بَـدَوْا جُهَـلاء[٣]

٩٩- هُـمُ طَلَبُـوا منهـا تكـون وَسِـيلَةً لِتُوصِـلَ مـنهم لِلْمَليـكِ دُعـاء

١٠٠- إذا رَغِبُـوا خَـيْراً بِـدارِ فَنـائِهِمْ ولـيس لِبَعْـثٍ، فَهُـمُ ذلـك ناء[٤]

١٠١- ولـيس يَهُـمُّ القـومَ غـيرُ مَعِيشَـةٍ يَنـالُونَ فيهـا نِعْمَـةً ورِفـاء[٥]

١٠٢- ومـن كـان فَهْـمُ البَعْـثِ يَوْمـاً أَسـاغَه إذنْ فَلْيُعِـدُّوا ناقَـةً عُشَـراء[٦]

١٠٣- يكـونُ عليهـا يـوم بَعْـثٍ نُشُـورُهُ وإلّا يُعـانِي يـوم ذاك جَفـاء

١٠٤- علـى قَـبْرِ ذاك المَـرْءِ تُنْحَـرْ ناقَـةٌ لِيَرْكَبَهـا يَوْمـاً يكـونُ بَـواء[٧]

١٠٥- إذا هـي لم تُنْحَـرْ سَـيُبْعَثُ ماشِـياً ويَلْقَـى إذا طـالَ المَسِـيرُ شَـقاء!

---

[١] البسطاء: المقصود بهم العرب.

[٢] أي ساء البقاء في نار جهنّم.

[٣] جهلاء: سفهاء غير حلماء.

[٤] ناء: بعد عنهم فهم البعث يوم القيامة وثقل.

[٥] رفاء، بكسر الرّاء: وفاق ووئام.

[٦] أساغه: جعله سائغاً. ناقة عشراء: مضى على حملها عشرة أشهر ولها منزلة رفيعة عند العرب.

[٧] يكون بواء، بفتح الباء: يكون رجوعاً وعودة.

١٠٦- وماذا وَراءَ البَعْثِ؟ لاعِلْمَ عِنْدَهُ ... بِأَنَّ لَـــهُ بعـــد الحِســـابِ جَـــزاء

١٠٧- غُمُوضٌ أَصابَ الوَحْيَ قد طالَ عُمْرُهُ ... علـــى عهـــد إبـــراهيمَ فـــاقَ رَواء[١]

١٠٨- وإذْ نَحَتُـوا الأَصْـنامَ وَفْـقَ تَصَـوُّرٍ ... سَـــقِيمٍ لمـــن كـــانُوا هـــم السُّـــخَفاء

١٠٩- فقـد زادَ أَحْفـادٌ إلى الطِّـينِ بِلَّـةً ... وقـــد جَعَلُوهـــا والمليـــكَ سَـــواء[٢]

١١٠- وإذْ كـان صَـعْباً حَمْـلُ كُـلِّ إلهَـهُ ... فقـــد جَعَلُـــوا أَنْصـــابَهُمْ بُـــدَلاء[٣]

١١١- يُفَـتِّشُ كُـلٌّ عـن إلـهٍ يَرُوقُـهُ ... ويَحْمِـــلُ مـــايَبْقَى لَدَيْـــهِ إناء[٤]

١١٢- ويَتْـرُكُ رَبّاً كـان قـد طـافَ حَوْلَـهُ ... إلى غَـــــيْرِهِ رَبّاً يَفُـــــوقُ رُواء[٥]

١١٣- ويَتْـرُكُ رَبّاً حـين يَرْحَـلُ باحِثـاً ... عـــن الـــرَّبِّ في أَرْضٍ تَضُـــمُّ خِبـــاء

١١٤- لقـد آلَ حـالُ النُّصْـب حـالَ بِضـاعَةٍ ... وحـــالَ نِعـــالٍ لم يَعُـــدْنَ وِجـــاء[٦]

١١٥- وأيـن حُلُـومُ القَـوْمِ فـاقُوا بهـا الـوَرَى ... إذا ماعُكـــاظٌ أَنْجَبَـــتْ فُصَـــحاء[٧]

١١٦- لقـد عَطّلُوهـا رَغْبَـةً في اتّبـاعِهِمْ ... لِآباءِ جَهْـــلٍ يَحْمِلُـــون لِـــواء

١١٧- سـواءٌ علـيهم أَوْصَـلُوهُمْ لِجَنَّـةٍ ... أو النّـارِ حَـرُّ النّـارِ فـاقَ صِـلاء[٨]

١١٨- دَلِيـلُ غَبـاءِ القـومِ أنّ عُقُـولَهُمْ ... بهـا عَطَـلٌ والقَلْـبُ كـان خَـواء

١١٩- وأحمـدُ خيرُ الخَلْقِ مَبْعُوثُ رَحْمَةٍ ... يُصـــادِفُ خـــيراً حـــين أَمَّ حِـــراء

١٢٠- هـداهُ إلـهُ العَـرْشِ لِلْغـارِ باحِثـاً ... عـــن الحَـــقِّ أَعْيـــا دَرْبُـــهُ العُقَـــلاء

١٢١- وقـد بَغَّـضَ المـولى لِقَلْـبِ محمّـدٍ ... ضَـــلالاً بـــه فـــاقُوا الـــوَرَى خُـــيَلاء

---

[١] رواء، بفتح الرّاء: الماء الكثير العذب المُرْوى.

[٢] بِلّة، بكسر الباء: رطوبة وندى.

[٣] الأنصاب جمع نصب بضمّ النّون ونصب بفتحها: مانُصِبَ وعُبِد من دون الله. بدلاء جمع بديل، بمعنى الخلف والعوض.

[٤] أي يحمل مايبقى لديه من الحجارة الإناء أو القدر وما إلى ذلك.

[٥] رواء، بضمّ الرّاء: منظر حسن.

[٦] وجاء، بكسر الواو: حاجز ومانع.

[٧] الوَرَى: الخلق. وعكاظ: السّوق الأدبيّة الشّهيرة، وهي تقع بالقرب من الطّائف.

[٨] صلاء، بكسر الصّاد: شواء.

١٢٢- محمّـدٌ المختـارُ يَعْبُـدُ رَبَّـهُ على دِيـنِ جَـدٍّ قـد أَنالَ شِـفاء

١٢٣- ولم يَبْـقَ منـهُ غـيرُ نارِ حُباحِـبٍ بِأحمـدَ خـيرِ الخَلْـقِ فـاقَ جَـلاء[١]

١٢٤- يَقُـومُ على التَّوْحِيـدِ فـاللهُ واحِـدٌ ومـن قـالَ غـيرَ الحَـقِّ قـالَ غُثـاء

١٢٥- محمّـدٌ المختـارُ يَبْقَـى بِغـارِهِ وَحِيـداً إلى أن بِالرِّسـالةِ باء[٢]

١٢٦- وقـد تَصِـلُ الأَيّامُ شَـهْراً ونَحْـوَهُ ويُحْضِـرُ زاداً بعـد ذاك ومـاء

١٢٧- وشَـهْرُ صِـيامٍ حَظُّـهُ الخـيرُ كُلُّـهُ بِغـارِ حِـراءٍ إذْ أَذاعَ دُعـاء

١٢٨- وفي ذلـك الشَّـهْرِ العَظِـيمِ محمّـدٌ يَجِـيءُ لَـهُ وَحْـيٌ يَفُـوقُ نَقـاء

١٢٩- بِـهِ يُبْعَـثُ الهـادِي وتُولَـدُ أُمَّـةٌ ويُـوحَى كِتـابٌ حَيَّـرَ البُلَغـاء

١٣٠- ولم يُنْـزِلِ الـرّحمنُ مـن قَبْـلُ مِثْلَـهُ بِـهِ قـد تَحَـدَّى الشِّـرْكَ والشُّـرَكاء

١٣١- محمّـدٌ المختـارُ يُبْعَـثُ رَحْمَـةً تَعُـمُّ جَمِيـعَ العـالَمِينَ غَنـاء[٣]

١٣٢- فمـن يَقْبَـلُ التّوحِيـدَ يَـدْخُلُ جَنَّـةً ومـن قـد أَبَى لِلـنَّفْسِ كـانَ أَسـاء

١٣٣- ويَبْقَـى لَـهُ دَرْبُ النَّجـاةِ مُعَبَّـداً يَسِـيرُ بِـهِ إن عَقْـلُ ذلـك فـاء

١٣٤- لقـد وافَـقَ الإِسْـلامُ لِلنّـاسِ فِطْرَةً تُلَـبِّي مـن اللهِ العَظِـيمِ نِـداء

١٣٥- فـإن هـي مالَـتْ كـان ذاك شَـقاءَ وإن هـي آبَـتْ كـان ذاك شِـفاء

١٣٦- ومِـنْ رَحْمَـةِ البـارِي بِأحمـدَ حينمـا إليـه أَتَـى جبريـلُ كـان ضَـحاء[٤]

١٣٧- وجـاءَ بِشَـكْلِ الشَّـخْصِ فـاقَ مَلاحَـةً وفـاقَ رِجـالَ العـالمينَ بَهـاء

١٣٨- ودِحْيَـةُ مـن أَعْـلا الصِّـحابِ مَلاحَـةً فَهَـلْ هـو في أَعْـلا الملاحَـةِ جـاء[٥]

١٣٩- ودِيـنُ إلـهِ العَـرْشِ فـاقَ مَلاحَـةً وخَـيْراً وتَمْجِيـداً وفـاقَ هَنـاء

١٤٠- وهذا مَلِيحُ الوَجْهِ قد جاءَ حامِلاً لِآياتِ وَحْـيٍ عَلَّـمَ العُلَمـاء

---

[١] ولم يبق منه: ولم يبق من دين إبراهيم عليه السّلام. الحباحب: ذبابٌ يطير باللّيل يضيء ذنبه.

[٢] باء: رجع.

[٣] غناء، بفتح الغين: نفع.

[٤] ضحاء، بفتح الضّاد: ضحى.

[٥] دحية الكلبيّ: صحابيّ. يضرب به المثل في حسن الصّورة. وكان جبريل عليه السّلام يأتي في صورته رضي الله تعالى عنه.

١٤١- لقد عُنِيَتْ آياتُ أَوَّلِ سُورَةٍ بِعِلْمٍ وما لِلْعِلْمِ كان رِشاء[١]

١٤٢- ولم يك ذاك العَصْرُ عَصْرَ عِنايَةٍ بِعِلْمٍ وكان شُيُوخُهُ خُطَباء

١٤٣- وما كان خيرُ الخَلْقِ من قَبْلُ تالِياً كِتاباً ولاقد خَطَّ فيهِ هِجاء[٢]

١٤٤- ولكنّهُ فَضْلُ المُهَيْمِنِ وَحْدَهُ بِهِ فاقَ طهَ الحِكْمَ والحُكَماء[٣]

١٤٥- وربُّكَ يَخْتَصُّ الأَحَقَّ بِفَضْلِهِ وأحمدُ خيرُ الخَلْقِ ربُّكَ شاء

١٤٦- وأنتَ إذا تَرْنُو لِأحمدَ ناعِتاً لَتَسْأَلُ هل حَقّاً أَطُولُ سَماء

١٤٧- حَباهُ إلهُ العَرْشِ خُلْقاً وخِلْقَةً بِأَفْضَلِ مايَحْبُو بِهِ الفُضَلاء

١٤٨- لقد كان خيرُ الخَلْقِ يُشْبِهُ جَدَّهُ وما وَرَّثَ المختارَ كان حِباء[٤]

١٤٩- ومن وَصَفُوا المختارَ كانوا جَماعَةً فهذا أَتَى باءً وذلك ياء

١٥٠- ولم يَقْوَ شَخْصٌ أن ينالَ تُعُوتَهُ نُعُوتُ رسولِ اللهِ كُنَّ وِضاء[٥]

١٥١- وربُّك قد أَعْطَى النَّبِيَّ مَهابَةً تُغَطِّي جَمِيعَ النّاظِرينَ حَياء

١٥٢- فَلَوْنُ رسولِ اللهِ أَزْهَرُ مُشْرَبٌ وقد فاق لَوْنَ العالمينَ صَفاء[٦]

١٥٣- وأَنْفُ رسولِ اللهِ أَقْنَى مُعَبِّرٌ عن العِزِّ لوحَطَّ الرّسولُ عَباء[٧]

١٥٤- فكيف بِهِ لوسَلَّ في الكَفِّ صارِماً وأَظْهَرَ لِلْكُفّارِ مِنْهُ عِداء[٨]

١٥٥- وكيف بِهِ لو كان قائِدَ غَزْوَةٍ وقد عادَ دِرْعٌ لِلْعَدُوِّ قَباء[٩]

١٥٦- وكيف بِهِ لو كان يَرْكَبُ مِنْبَراً يَحُثُّ جُيُوشاً كَيْ تَفُوقَ مَضاء

---

[١] رشاء: حبل.

[٢] هجاء: تقطيع اللّفظة إلى حروفها.

[٣] الحكم: الحكمة.

[٤] حِباء: عطاء.

[٥] وضاء،بكسر الواو وجمع وضيء بمعنى مشرق.

[٦] مشرب: مخلوط بلونٍ آخر.

[٧] أنف أقنى: ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه.

[٨] عداء، بكسر العين: عداوة.

[٩] قباء، بفتح القاف: ثوبُ يلبس فوق الثِّياب أو القميص.

١٥٧- وكيف به لو كان في يَوْمِ جُمْعَةٍ وعِيدٍ وقد صارَ النَّدِيُّ بكاء[١]

١٥٨- هو الأَنْفُ أَقْنَى قد قَضَى اللهُ عِزَّهُ وليس لِغَيْرِ اللهِ ذَلَّ قَضاء[٢]

١٥٩- رسولُ الهُدَى قد كان بَدْراً مُنَوّراً ولَيْثاً إذا ماالحالُ شاءَ إباء

١٦٠- هو البَدْرُ يَبْدُو إن تَبَسَّم ضاحِكاً سُرُوراً بِما المَوْلَى عليهِ أَفاء

١٦١- أعانَ على إِشْراقِ بَدْرٍ مُنَوَّرٌ من الزَّهْرِ أو حَبُّ الغَمامِ أَضاء[٣]

١٦٢- فكيف إذا ماالثَّغْرُ لاحَ مُرَتَّلاً ورَتَّلَ آياتِ الكِتابِ عِشاء[٤]

١٦٣- وسُورَةُ رحمنٍ عَرُوسُ كِتابِهِ وكان بها الهادِي يُذِيع ثَناء

١٦٤- وربُّك قد أَعْطَى النَّبِيَّ محمّداً لِساناً فَصِيحاً يَبْهَرُ الجُلَساء

١٦٥- وأعطاه عِلْماً فَهْوَ دَعْوَةُ جَدِّه بِها قد زَكا عِلْمُ الرّسولِ زَكاء

١٦٦- وخاطَبَ كُلاًّ بالّذي هو أَهْلُهُ حَكِيمٌ إذا المختارُ شَخَّصَ داء

١٦٧- جَوامِعَ قَوْلٍ قد حَباهُ مَلِيكُهُ وكلَّ مَرِيضٍ قد حَباهُ دَواء

١٦٨- هو الفَضْلُ لِلرَّحْمنِ يَرْجِعُ وَحْدَهُ هو اللهُ قد اَعْطَى الرّسولَ بَهاء

١٦٩- وعَيْنُ رسولِ اللهِ دَعْجاءُ رِمْشُها طَوِيلٌ لها شَكْلٌ يَشِعُّ ذَكاء[٥]

١٧٠- وعَمّا حَباهُ رَبُّهُ من فِراسَةٍ فَحَدِّثْ بها مِنْ يَوْمِ أَمَّ حِراء[٦]

١٧١- ومنذ دَعاه بالأَمِينِ قَبِيلُهُ وكان بِحَقٍّ يُعْجِبُ الأُمَناء[٧]

١٧٢- وإنّ إلهَ العَرْشِ خَصَّ محمّداً بِكُلِّ نُعُوتٍ رَشَّحَتْ نُبَلاء

---

[١] النّديّ: الحضور من النّاس والنّادي.

[٢] قضاء: قضاء من الله تعالى.

[٣] المراد أسنانه ﷺ . والزّهر: نَوْر النّبات ومنه الأبيض. وحبّ الغمام: البرد.

[٤] مرتّلاً: جميلاً بالأسنان المرتّلة المنسّقة الجميلة المفلّجة.

[٥] عين دعجاء: اشتدّ سوادها وبياضها واتّسعت.

[٦] أمَّ: قصد.

[٧] قبيله: قومه وعشيرته.

١٧٣- كَمـالٌ بِـهِ خُـصَّ النَّـبِيُّ محمّـدٌ كَمـــالٌ بِـــهِ فـــاقَ الأَنامَ رُواء[١]

١٧٤- فَخامَـةُ شَـكْلٍ واكْتِمـالُ مُـرُوءَةٍ ومــن ذا الّــذي أَبْــدَى بِــذاك مِــراء!

١٧٥- إذا كـان في سِـلْمٍ حَمامَـةُ بَيْتِـهِ تَعــالَى وقــد فــاءَتْ إليــهِ وفــاء[٢]

١٧٦- وفي الحَـرْبِ قـد كـان الهِزَبْـرَ مُزَمْجِـراً وقــد مَــلأَ الصَّــوْتُ الجَهِــيرُ فَضــاء

١٧٧- لقــد هَيَّــأَ اللهُ النَّــبِيَّ محمّــداً لِكَــرٍّ فقــد فــاقَ الحَدِيــدَ مَضــاء

١٧٨- شجاعَةُ خيرِ الخَلْقِ لَسْتَ مُلاقِياً لهــا مَــثَلاً فاسْــأَلْ هنــا الخُصَــماء

١٧٩- إذا كـان في صَـفٍّ يَفُـوقُ جَمِيعَـهُ بَهَــــــاءً رُواءً عِــــــزَّةً وإباء

١٨٠- وسَــلْ عنــه بَــدْراً إن أَرَدتَ ووادِياً وقــد أَكْــرَمَ المــولَى بــه الشُّــهَداء[٣]

١٨١- لقد كان خيرُ الخَلْقِ كالطَّوْدِ راسِخاً إذا الــرِّيحُ هاجَــتْ أو تكــونُ رُخــاء

١٨٢- وقد طالَ جِيدٌ لِلرّسولِ ومَنْكِبٌ وســاقٌ وكــفٌّ لم تكــن عُسَــراء[٤]

١٨٣- وقَــوْسٌ ورُمْــحٌ والمهنَّــدُ صــارِمٌ ودِرْعٌ تَقُــولُ المــاءُ فــاقَ صَــفاء

١٨٤- إذا مـارَمَى بِالقَـوْسِ حَنَّـتْ ورُبّمـا قــد انْكَسَــرَتْ والعُــودُ عــادَ كِبــاء[٥]

١٨٥- وكـفُّ رسـولِ اللهِ لـو هـي صـافَحَتْ يُقــالُ كــأنَّ العِطْــرَ كــان وِعــاء

١٨٦- بِـهِ أُدْخِلَـتْ كَـفُّ فَفـاحَ عَبِيرُهـا وقــد كــان أَصْــلٌ لِلْعَبِــيرِ قُبــاء

١٨٧- وإن سـارَ في دَرْبٍ يَظَـلُّ أَرِيجُـهُ يَفُــوحُ بِــدَرْبٍ حُلَّــةً سِــيَرَاء[٦]

١٨٨- فكيـف بِقَـوْسٍ عانَقَتْـهُ وضَـمَّها إلى صَــدْرِهِ والسَّــهْمُ كــان قَضــاء

١٨٩- وظَـلَّ بهـا خـيرُ البَرِيَّـةِ رامِيـاً إلى أن قَضَـتْ والعِطْـرُ عَـمَّ جِـواء[٧]

---

[١] رواء، بضمّ الرّاء: حسن المنظر.

[٢] وفاء: بباعث الوفاء للبيت الحرام الّذي منحها الأمن.

[٣] ووادِيا: المراد وادي قناة الّذي وقعت به معركة أحد.

[٤] منكب: مجتمع رأس العضد والكتف. العسراء: اليُسْرَى. والأعسر: الّذي يعمل بشِماله.

[٥] كباء، بكسر الكاف: عود البخور.

[٦] الحلّة السّيراء: ضربٌ من البرود فيه خطوطٌ صفر أو خطوطٌ من القزّ.

[٧] قضت ماتت بانكسارها. جواء بكسر الجيم جمع جوّ، بمعنى الفضاء.

١٩٠- صِحابُ رسولِ اللهِ قد كان كُلُّهُمْ حَرِيصاً عليها لِلرَّسُولِ وَفاء[١]

١٩١- فَفازَ بها شَهْمٌ أُصِيب بِأُخْتِها بِعَينٍ لَهُ إذ أَزْعَجَتْ صُلَحاء[٢]

١٩٢- قَتادَةُ قد سالَتْ على الخَدِّ عَيْنُهُ بِسَهْمٍ وهذا لِلْعَرِيسِ أَساء[٣]

١٩٣- فَزَوْجَتُهُ تَأْسَى وقد شاهَ وَجْهُهُ لقد كان لَبَّى إذ أَحَسَّ نِداء[٤]

١٩٤- بِحُرْقَةِ قَلْبٍ قال ذا لِرَسولِهِ عليه سَلامٌ ما الفَضاءُ أَضاء

١٩٥- رسولُ الهُدَى في الحالِ أَرْجَعَ عَيْنَهُ بِكَفٍّ ففاقَتْ بِالرّسولِ نَقاء

١٩٦- وذلك فَضْلُ اللهِ نالَ محمّداً وكان صِحابُ المصطفى شُهَداء[٥]

١٩٧- يَدٌ لِرَسولِ اللهِ تَأْسُو صَحابَةً وتَجْرَحُ من خالُوا الدُّمَى شُرَكاء[٦]

١٩٨- وربُّكَ قد أَعْطَى النَّبِيَّ محمّداً خِصالاً بها قد جاوَزَ النُّظَراء

١٩٩- محمّدٌ المختارُ أَسَّسَ دَوْلَةً وكان بها دَوْماً يُطِيلُ بِناء

٢٠٠- ومُذْ غادَرَ الدُّنْيا يَزِيدُ اتّساعُها وتَزْدادُ عَزْماً دائماً وفَتاء

٢٠١- وهذا نَجاحٌ خَصَّ أَحْمَدَ وَحْدَهُ بِهِ رَبُّهُ واسْتَعْرِضِ النُّبَآء

٢٠٢- ومَنْ كان يَرْنُو للنَبِيِّ محمّدٍ يَرَى فيه لَيْثاً وَثْبَةً ومَضاء

٢٠٣- ولِحْيَةُ خيرِ الخَلْقِ تُشْبِهُ لِبْدَةً وإذ طالَ شَعْرُ الرّأسِ تَمَّمَ هاء[٧]

٢٠٤- لقد كان شَعْرُ الرَّأسِ لِلْأُذْنِ واصِلاً تَماوَجَ مِثْلَ الماءِ نالَ هَواء

٢٠٥- ولِبْدَةُ خيرِ الخَلْقِ سَوْداءُ لَوْنُها ووَجْهُ رسولِ اللهِ فاقَ ضِياء

---

[١] أي وفاءً للرّسول ﷺ.

[٢] هو قتادة بن النُّعمان الأوسيّ الأنصاريّ الصّحابيّ الجليل. قلعت إحدى عينيه يوم أحد فردّها النّبيّ ﷺ فكانت أحسن عينيه وأحدّهما.

[٣] العريس: الزّوج مادام في إعراسه.

[٤] انظر طبقات ابن سعد ٣/٤٥٣.

[٥] شهداء: شهداء الواقعة.

[٦] الدّمى: الأصنام والمفرد دمية.

[٧] لبدة الأسد تشكّل دائرةً حول وجهه. ولحية رسول الله ﷺ الكثّة الّتي تُغَطّي صدره وشعر رأسه الذّي يصل إلى أذنه يشكّلان لبدة الأسد. وهي على شكل الهاء المربوطة أو الدّائرة.

٢٠٦- هو اللَّيْثُ عَنْهُ اسْأَلْ حُنَيْناً وحينما يَحُطُّ بِأُحْدٍ لَأْمَةً ووِقاء

٢٠٧- دَلِيلُ مَضاءِ اللَّيْثِ بَغْلَتُهُ الّتي لها يَمْتَطِي كان البِغالُ بِطاء[١]

٢٠٨- هو النَّصْرُ قد حَطَّ الهِزَبْرُ بِعَيْنِهِ وإلّا لِقاءَ اللهِ طابَ لِقاء

٢٠٩- وإنّ ثَباتَ اللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ أَفاءَ سَرِيعاً صُحْبَةً صُلَحاء

٢١٠- وفي مِثْلِ وَمْضِ البَرْقِ من فَضْلِ رَبّه عليه رِياحُ النَّصْرِ صِرْنَ رُخاء

٢١١- ولم يكُ سَهْلاً عَدُّ ماالجَيْشُ نالَهُ وإحْصاءُ ماربُّ الأَنامِ أَفاء

٢١٢- ومانَّصْرُ إلّا من مَلِيكِكَ وَحْدَهُ وقد كان نَصْرُ المؤمنين عَطاء

٢١٣- وفي أُحُدٍ رَأْيُ الرّسولِ بَقاؤُهُمْ بِطَيْبَةَ إن شاء العَدُوُّ بَقاء

٢١٤- سَيَمْكُثُ بالصَّحْراءِ في شَرِّ عِيشَةٍ ويَرْجِعُ حتّى لو أَطالَ ثَواء

٢١٥- وكان شَبابُ الجَيْشِ فاتَتْهُ فُرْصَةٌ بِبَدْرٍ تَزِيدُ الكافرين بُكاء

٢١٦- وحَمْزَةُ عَمُّ المصطفى رَأْسُ فِرْقَةٍ تُنادِي بِأنّا لم نكن جُبَناء

٢١٧- سَنَبْرُزُ لِلْأَعْداءِ حتّى نُبِيدَهُمْ ويَبْقَى مصيرُ الكافرينَ عَفاء[٢]

٢١٨- وإذ كان هذا الرَّأْيُ قد فازَ كَثْرَةً بِشُورَى ومايَجْرِي يَتِمُّ قَضاء

٢١٩- فإنّ رسولَ الله يَتْرُكُ رَأْيَهُ على الرَّغْمِ من رُؤْيا تُفِيدُ عَناء

٢٢٠- ويُصْبِحُ رَأْيُ القومِ رَأْيَ نَبِيهِّمْ بِذا أَمَرَ المولَى وربُّكَ شاء

٢٢١- مَضَى أحمدُ المختارُ فوراً لِبَيْتِهِ لِيَلْبَسَ دِرْعاً والسِّلاحَ أضاء

٢٢٢- وعادَ رسولُ اللهِ يَحْمِلُ سَيْفَهُ وَأَلْقَى وراءَ الظَّهْرِ منه وِقاء[٣]

٢٢٣- وعَيْناهُ تَحْتَ الدِّرْعِ كلتاهُما بَدا شَرارُهما ماباتَ ذاك خَفاء

٢٢٤- لقد فُوجِيءَ المختارُ بِالصَّحْبِ غَيَّرُوا لِرأْيِهِمُ في الوقتِ غابَ وَفاء[٤]

٢٢٥- وقالُوا رسولَ اللهِ إنّا لِرَأيِنا تَرَكْنا لِرَأْيٍ نالَ منك رِضاء

---

[١] كان النّبيّ ﷺ يركب في حنين بغلته دليلاً على توطين نفسه على الثّبات.

[٢] عفاء، بفتح العين: زوالٌ وهلاك.

[٣] وقاء: ترس.

[٤] أي في الوقت غاب فيه النّبيّ ﷺ ورجع.

٢٢٦- فقالَ رسولُ اللهِ ماكانَ يَنْبَغِي ... لِأَيِّ نَبِيٍّ كانَ حَطَّ رِداء[1]

٢٢٧- لِيَنْزِعَهُ من قَبْلِ حَرْبِ عَدُوِّهِ ... وتَنْفِيذِ رَأْيٍ بِالمَشُورَةِ باء[2]

٢٢٨- لقد نَزَعَ المختارُ آلَةَ حَرْبِهِ ... وقد خاضَ حَرْباً ضَخْمَةً وبَلاء

٢٢٩- رسولُ الهُدَى قد كانَ مَبْعُوثَ رَحْمَةٍ ... ومَلْحَمَةٍ إنّ الكَفُورَ أَساء

٢٣٠- إذا أَنْتَ أَبْصَرْتَ المعارِكَ خاضَها ... رسولُ الهُدَى أو كانَ شَدَّ لِواء

٢٣١- لَتُكْبِرُ لو قد كانَ أحمدُ قائداً ... ودَوْلَةَ حَقٍّ قد أشادَ بِناء

٢٣٢- فكيف وخيرُ الخَلْقِ قد كان أُسْوَةً ... لنا حيث يَمَّمْنا الوُجُوهَ وِضاء

٢٣٣-رسولُ الهُدَى في مُحْكَمِ الذِّكْرِ أُسْوَةٌ ... لِمَنْ خافَ في يومِ الجَزاءِ لِقاء

٢٣٤- وسُنّةُ خيرِ الخَلْقِ مِنْ فَضَلِ رَبّنا ... تَعُمُّ جَمِيعَ العالمينَ غِطاء

٢٣٥- وذلك فَضْلُ اللهِ خَصَّ محمّداً ... بِهِ وَحْدَهُ قد كان ذاكَ قَضاء

٢٣٦- فهذا كِتابُ اللهِ يَرْفَعُ ذِكْرَهُ ... وحِفْظُ كِتابِ اللهِ ربُّكَ شاء

٢٣٧- وسُنَّةُ خير الخَلْقِ سَخَّرَ رَبُّنا ... لها من رَعاها كي تَفُوقَ صَفاء

٢٣٨- جَمِيعُ الّذي قد كان أحمدُ قد أَتَى ... بِوَحْيٍ من المولَى أَنارَ سَماء

٢٣٩- وسَخَّرَ رَبُّ العَرْشِ من كانَ دَأْبُهُ ... رَعايَةَ ماالمختارُ قالَ وجاء

٢٤٠- وما العِلْمُ في الإِسْلامِ إلّا عِبادَةٌ ... بِمِقدارِ إِخْلاصٍ تَزِيدُ عَلاء

٢٤١- ولم يُعْنَ دِينٌ مِثْلُ دِينِ محمّدٍ ... بِعِلْمٍ يَزِيدُ العالمينَ هَناء

٢٤٢- بِأُولَى وأُخْرَى حين تَعْمَلُ صالِحاً ... تَنالُ مِنَ المَوْلَى العَظِيمِ جَزاء

٢٤٣- فأنتَ سَعِيدٌ حين تَغْرِسُ غَرْسَةً ... بِدُنْيا وبالتَّقْوَى تَزِيدُ نَماء

٢٤٤- وقد بَعَثَ المولى الرّسولَ محمّداً ... لِإِتْمامِ أَخْلاقٍ تَفُوقُ ثَراء

٢٤٥- بها أَكْرَمَ المَوْلَى النَّبِيينَ قَبْلَهُ ... وفاقُوا جميعاً رِفْعَةً وسَناء

٢٤٦- وربُّكَ في القرآنِ يَمْدَحُ عَبْدَهُ ... بما نالَ من خُلْقٍ يَفُوقُ بَهاء

٢٤٧- لنا في رسولِ الله أَحْسَنُ أُسْوَةٍ ... فياربِّ وفِّقنا نكن سُعَداء

---

[1] خطّ رداء: لبس آلة الحرب.

[2] باء: رجع وعاد.

٢٤٨- ويارَبِّ لانُحْصِي عليك ثَناءَ حَياةُ رسولِ اللهِ تَنْزِلُ ماء

٢٤٩- تُغْيثُ جميع العالمين وكُلُّهُمْ يَقِينٌ بأنّ الماءَ كان رِواء

٢٥٠- مَنَحْتَ حياةَ الخَلْقِ حِسّاً بِمائِها وبالوَحْيِ أرواحٌ تَجُوزُ فَضاء

٢٥١- حَياةُ رسولِ الله تِبْيانُ وَحْيِهِ تعالى وقُرْآنٌ يُنِيرُ عِشاء

٢٥٢- وقد حَفِظَ التّاريخُ كُلَّ كَبِيرَةٍ أَتاها الهُدَى أو تَسْتَدِقُّ خَفاء[١]

٢٥٣- وذلك فَضْلُ اللهِ خَصَّ محمّداً بِهِ وَحْدَهُ كي يَسْبِقَ القُرَناء

٢٥٤- وأنتَ إذا تُلْقِي سُؤالاً مَنِ الّذي تَجَلَّى مِثالاً ثمّ فاقَ بَهاء[٢]

٢٥٥- تَنالُ بِمِقْدارِ التّأسّي بِخُلْقِهِ ثَناءً بِدُنْيا والجِنانَ جزاء؟

٢٥٦- فَثَمَّ جَوابٌ ليس عندك غَيْرُهُ محمّدٌ المختارُ فاقَ عَلاء

٢٥٧- فإنّ إلهَ العَرْشِ خَصَّ نَبِيَّهُ بِكُلِّ الّذي أَبْقَى النَّبِيَّ لِواء

٢٥٨- مكارِمُ أَخْلاقٍ بها الرُّسْلُ قد أَتَوْا وتَمَّمَها مَنْ يَرْأَسُ الرُّؤَساء

٢٥٩- وكُتْبٌ بها اخْتَصَّ المُهَيْمِنُ رُسْلَهُ وشاءَ لها أَحْبارَهُمْ كُفَلاء

٢٦٠- وربُّك قد أَوْحَى لِأحمدَ ذِكْرَهُ وكان تعالى حافِظاً طُغَراء[٣]

٢٦١- حَياةُ رسولِ اللهِ من فَضْلِ رَبّنا تُغَطِّي جَمِيعَ العالمينَ سَواء

٢٦٢- وهل كان خيرُ الخَلْقِ إلّا مُعَبّراً لِوَحْيٍ يَعُمُّ العالمينَ وَفاء

٢٦٣- تَبارَكْتَ من بارَكْتَهُ فحياتُهُ تكونُ لِكلِّ العالمينَ كِفاء

٢٦٤- إلى يَوْمِ حَشْرِ الخَلْقِ إنّك واجِدٌ مِثالاً لدى الهادِي يَزِيدُ نَماء

٢٦٥- أَلَمْ يَكُ دِينُ الحَقِّ جاءَ محمّدٌ بِهِ جاعِلاً للدِّينِ قَبْلُ وَراء![٤]

---

[١] تستدقّ: تصغر.

[٢] محمّد ﷺ هو الأسوة الحسنة.

[٣] القرآن الكريم بالقياس إلى الكتب السّماويّة الأخرى بمنزلة الطُّرَّة الّتي تكتب في أعلى الكتب والرّسائل تتضمّن نعوت الحاكم وأَلْقابَه.

[٤] هنا إشارةٌ إلى أنّ الدّين المقبول عند الله تعالى هو دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمّداً ﷺ.

٢٦٦- ألم يَنْسَخِ البارِي بِدِينِ محمّدٍ لِدِينٍ أَتَى وَحْياً وجاءَ دَواء[١]

٢٦٧- لقد جَعَلَ البارِي بِدِينِ محمّدٍ عن الدِّينِ في دُنْيا الأَنامِ غَناء!

٢٦٨- فهذا كتابُ اللهِ جاء مُهَيْمِناً على كُلِّ وَحْيٍ قَبْلَ ذلك جاء

٢٦٩- فَما وافَقَ القُرْآنَ مَعْنًى فإنَّهُ صَحِيحٌ ولو مَنْ دَسَّ كانَ أَساء

٢٧٠- بِنَصِّ كِتابِ اللهِ زادُوا وأَنْقَصُوا وأَخْفَوا وأَبْدَوْا ساءَ ذاك شِراء[٢]

٢٧١- وليس يَكادُ العُجْبُ منهم بِمُنْتَهٍ وقد حَوّلوا مازَوّرُوهُ غِناء

٢٧٢- وقد كَذَبُوا في الزَّعْمِ أنّ تَرَنُّماً لهم تَمَّ في وَحْيِ السَّماءِ أضاء

٢٧٣- وما كانَ ذاكَ الوَحْيُ غَيْرَ بِضاعَةٍ لها زَوَّرُوا كي يَسْرِقُوا الغُرَماء

٢٧٤- لقد أَكَلُوا بالظُّلْمِ مالَ جَماعَةٍ بِهِمْ وَثِقُوا والدّاءُ كان عَياء

٢٧٥- وأَخْطَرُ من أَكْلٍ لِمالِ جَماعَةٍ ضَلالٌ لَهُ قادُوا الجُمُوعَ دَهاء

٢٧٦- هُمُ يَعْرِفُونَ الحَقَّ جاءَ مُحَمَّدٌ بِهِ جَهْرَةً مِثْلَ البَنِينَ سَواء

٢٧٧- ولكنّهم لايَرْغَبُون لِغَيْرِهِمْ من الخير شَيْئاً خِسَّةً وغَباء

٢٧٨- وربُّك يَخْتارُ الّذي هو قادِرٌ بِعَونٍ على أن يُنْقِذَ البُؤَساء

٢٧٩- فمن كان فَرْداً إنّهُ لَمُحَمَّدٌ ومَنْ كان جَمْعاً من بَدَوْا رُحَماء

٢٨٠- وماعَرَفَ التّارِيخ أَكْثَرَ رَحْمَةً من القَوْمِ صانُوا لِلسَّلامِ لِواء[٣]

٢٨١- يَؤُمُّهُمُ الهادِي النَّبِيُّ محمّدٌ بِحَقٍّ لقد كانُوا هم النُّقَباء

٢٨٢- لقد أَنْقَذَ اللهُ العِبادَ بَبذْلِهِمْ لِأَرْواحِهِمْ لِلدِّينِ فاقَ نَقاء

٢٨٣- وهم خَرَجُوا من نَصْرِهِمْ بِثَوابِهِمْ وأَعْظِمْ بِجَنّاتِ النَّعِيم كِفاء

٢٨٤- وما قَصَدُوا بِالنَّصْرِ مَلْءَ جُيُوبِهِمْ فإنَّهُمُ كانوا هم الفُقَراء

٢٨٥- لقد أَخَذُوا الحَقَّ الّذي الحَقُّ قد قَضَى لهم عَنْوَةً أو ماالمليكُ أَفاء

---

[١] جاء دواء: جاء باجتهادٍ من بعض الرّجال المجتهدين.

[٢] أنقصوا: نقصوا.

[٣] السّلام: الإسلام.

٢٨٦- هُمُ القَوْمُ مَنْ كانُوا بِحَقٍّ أَعِفَّةً ... عن المالِ في أَيْدِي الضِّعافِ وَفاء[١]

٢٨٧- إذا شئتَ فاسْأَلْ فارِسَ السَّيْفِ والقَنا ... بِحِطِّينَ لما الموتُ حَلَّ فِناء[٢]

٢٨٨- لِماذا جميعُ المالِ كُنْتَ تَرَكْتَهُ ... وراءك ماأَسْقَى جِهازَكَ ماء![٣]

٢٨٩- يُجِيبُك رُوحُ الشّهْمِ قد كُنْتُ خائِفاً ... مِنَ اللهِ لَوْ بالظُّلْمِ نِلْتُ ثَراء

٢٩٠- صِحابُ رسولِ اللهِ كانُوا أَعِفَّةً ... وباللَّيْلِ هم فاتُوا الجِواءَ بُكاء

٢٩١- على الخَيْلِ يَقْضُونَ النَّهارَ أَعِزَّةً ... لِدَحْرِ قُوًى لِلشَّرِّ كُنَّ غِذاء

٢٩٢- وبِاللَّيْلِ إذ يَخْلُون يَبْكُون حُرْقَةً ... مَخافَةَ تَقْصِيرٍ يَجُرُّ بَلاء

٢٩٣- ويَدْعُونَ رَبَّ العَرْشِ أن يَقْبَلَ الّذي ... دَعاهُمْ لَهُ إذ يَدْحَرُون عَداء[٤]

٢٩٤- ويُعْلُونَ صَرْحَ الدِّينِ في كُلِّ بُقْعَةٍ ... لها وَصَلُوا إذ يَرْفَعُونَ نِداء

٢٩٥- لقد صَدَقُوا ماعاهَدُوا اللهَ وَحْدَهُ ... عَلَيْهِ فَجادُوا بِالنُّفُوسِ سَخاء

٢٩٦- وبَعْضُهُمُ قد نالَ عِزَّ شَهادَةٍ ... وبَعْضُهُمُ يَسْعَى لِذاكَ رَجاء

٢٩٧- لَهُمْ في رسولِ اللهِ أَحْسَنُ قُدْوَةٍ ... إذا خاضَ حَرْباً أَوْ أَطالَ دُعاء

٢٩٨- وقد وَعَدَ الرّحمنُ صَفْوَةَ خَلْقِهِ ... إذا امْتَثَلُوا أن يُصْبِحُوا خُلَفاء

٢٩٩- وذلك وَعْدٌ جاءَ في الذِّكْرِ قد أَتَى ... لِأحمدَ هذا الوَعْدُ شادَ بِناء

٣٠٠- وذلك وَعْدٌ يَشْمَلُ النّاسَ كُلَّهُمْ ... إلى يَوْمِ حَشْرٍ مابَدَوْا أُمَناء

٣٠١- فكيف بِأصْحابِ النّبيِّ محمّدٍ ... بِحَقٍّ لقد كانوا هم البُشَراء[٥]

٣٠٢- صِحابُ رسولِ اللهِ كُلٌّ كَنَجْمَةٍ ... تَزِيدُ على مَرِّ العُصُورِ ضِياء

٣٠٣- ألم يَقُلِ المختارُ أَيّاً تَبَعْتُمُ ... يكونُ الهُدَى أَرْضاً لَكُمْ وسَماء

---

[١] وفاء: بالعهود والمواثيق وهدي الإسلام.

[٢] المقصود صلاح الدّين الأيّوبيّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

[٣] الجهاز بكسر الجيم وفتحها: كلّ مايحتاج إليه لدفن الميّت.

[٤] عداء، بفتح العين: ظلم وعدوان.

[٥] البشراء جمع بشير بالدّين الإسلامي.

٣٠٤- وَأَيُّ رِجـالٍ يَرْكَبُـونَ خُيُـولَهُمْ يَجُوبُـونَ آفـاقَ المَـلا وخَـلاء[١]

٣٠٥- تَلامِيذُ خيرِ الخَلْقِ من بِسُلُوكِهِمْ وتَقْـواهُمُ فـاقُوا الأَنامَ عَـلاء

٣٠٦- هُمُ في مَجالِ الحَرْبِ آسادُ بِيشَةٍ وهُـمْ أَنْجَبُـوا بَصْـرِيَّهُمْ وعَطـاء[٢]

٣٠٧- وهم بعد سَحْقِ الظُّلْمِ في ساحِ حَرْبِهِم بَـدَوْا سـادَةَ التَّقْـوَى بَـدَوْا سُمَحـاء

٣٠٨- ألم يَفْتَحُوا المَعْمُورَ في مِثْلِ وَمْضَةٍ مـن البَـرْقِ فاقَـتْ بَهْجَـةً وهَنـاء

٣٠٩- وهـل كانَـتِ الأَرْضُ الفَضـاءُ كَعَهْـدِنا بِهـا اليـوم أم كـان الزَّمـانُ شِـتاء

٣١٠- بِـهِ تَقْصُـرُ الأشـياءُ شَـيْئاً وبعـدهُ تَعُـود وتَنْمُـو فَـوْقَ ذاك نَمـاء[٣]

٣١١- بِبِعْثَـةِ خَـيْرِ الخَلْـقِ عـادَ زَمانُنـا علـى عَهْـدِهِ مـن يـومِ فَـكَّ هِجـاء[٤]

٣١٢- وما اخْتَلَّ طُولٌ لِلزَّمانِ وعَرْضُهُ ولا الأَرْضُ إذ يَحْـدُو الزَّمـانُ حُـداء

٣١٣- فلـم تُطْـوَ أَرْضٌ تحـت أَقْـدامِ خَـيْلِهِمْ ولكـنَّهُمْ قـد قَـدَّمُوا الشُّـهَداء[٥]

٣١٤- هي الأَرْضُ ذاتُ العَرْضِ والطُّولِ أَرْضُهُمْ ولكـنّ عَـزْمَ القَـوْمِ كـان مَضـاء

٣١٥- فمـاذا الّـذي قـد حَـوَّلَ القـومَ شُـعْلَةً تَعُـمُّ جَمِيـعَ العـالمينَ ضِـياء

٣١٦- هو الدِّينُ دِينُ الحَقِّ جاءَ محمّدٌ بِـهِ نِعْمَـةً والكَـوْنُ كـان جُفـاء

٣١٧- لقد كان هذا الكونُ صاحِبَ حاجَةٍ لِإنْقـاذِ نَفْـسٍ قـد بَـدَتْ نُفَسـاء

٣١٨- هو الشِّرْكُ قد عَمَّ البِلادَ جَمِيعَها هـو الظُّلْـمُ مِثْـلَ الـذِّئْبِ صـادَفَ شـاء

٣١٩- إلى الـدَّرْكِ أَخْـلاقُ الأَنامِ تَـدَحْرَجَتْ فقـد صـارَ دِيـنُ العـالمينَ هَـواء

٣٢٠- بِكُـلِّ مكـانٍ أنـتَ فيـه مصـادِفٌ مـن النّـاسِ شِـرْكاً لَـوَّثَ العُلَمـاء

---

[١] الملا: الصّحراء.

[٢] بيشة: مأسدة. بصريّهم: الحسن البصريّ ٢١-١١٠هـ تابعيّ إمام أهل البصرة. ولد بالمدينة وتوفّي بالبصرة. وعطاء بن أبي رَباح ٢٧-١١٤هـ تابعيّ. ولد باليمن ونشأ بمكّة فكان مفتي أهلها ومحدّثهم. وكان عبداً أسود.

[٣] المراد انكماش المعادن شتاءً وتمدّدها صَيْفاً.

[٤] المراد عودة الزّمان في حجّة الوداع صحيحاً كعهده يوم خلق الله سبحانه وتعالى السّماوات والأرض.

[٥] أي لم تكن الأرض غير هذه الأرض.

٣٢١- فكيف بِمَنْ قد كان في العِلْمِ حَظُّهُ قَلِيلاً ومن كانوا هم الجُهَلاء[١]

٣٢٢- إلهيَ أَنْتَ العَدْلُ أَنْقَذْتَ عالَماً بِبِعْثَةِ من قد أَطْلَقَ السُّجَناء

٣٢٣- لقد كانَ هذا الكَوْنُ في الجَهْلِ غارِقاً لقد كانَ داءً حيث صِرْتَ عَياء

٣٢٤- ولَيس الّذي قد قيلَ فَرْطَ حَماسَةٍ ومن بابِ أهواءٍ تَصِيرُ غِشاء

٣٢٥- ولكنَّهُ قَوْلُ الصَّدُوقِ ثَناءَ ودونك هذا الكونَ كان قَواء[٢]

٣٢٦- فتلك بِلادُ النِّيلِ يَحْتَلُّ أَرْضَها طُغاةٌ أَحالوا أَهْلَها غُرَباء

٣٢٧- بِرَبِّك قارِنْ بين أَعْلامِ أَهْلِها قُبَيْلَ وبعد الفَتْحِ رَبُّكَ شاء[٣]

٣٢٨- أَلَمْ تَدْرِ أنّ القَوْمَ في كلّ قَرْيَةٍ يَرَوْنَ أُناساً قد أَتَوْا قُرَباء[٤]

٣٢٩- بِفَضْلِ إلهِ العَرْشِ هم أَنْقَذُوهُمُ من النّارِ قد كان الكفورُ إزاء[٥]

٣٣٠- بِرَبِّكَ قُلْ لي عن بُناةِ حَضارةٍ لها الدَّهْرُ إذ يَرْنُوا أَطاحَ غِطاء[٦]

٣٣١- قَلِيلٌ من الفُرْسانِ يَهْزِم جَمْعَهُمْ إذا لم تكن تلك النُّفُوسُ خَواء

٣٣٢- ألم يَكُنِ القومُ الّذين أَتَوْهُمُ لِإِنْقاذِهِمْ فاقُوا الأَنامَ سَخاء

٣٣٣- إذا كان بالأَهْرامِ قد فاقَ جَمْعَهُمْ فبالْعِلْمِ في الإسْلام فاقَ بَهاء

٣٣٤- تَفَرَّسْتُ في طُولِ البِلادِ وعرْضِها فلم أَرَ حَبْراً فاقَ قَبْلُ عَطاء[٧]

٣٣٥- فَهَلْ أنت مُحْصٍ بعد ذاك جَماعَةً هُمُ عَلَّمُوا الدُّنْيا العُلومَ وِضاء[٨]

---

[١] جهلاء: غير متعلّمين.

[٢] كان قواء، بفتح القاف: كان خلاءً وبمثابة الأرض الجرداء.

[٣] أي قبل الفتح الإسلاميّ وبعده.

[٤] أهل كلّ قريةٍ في مصر وصل إليها صحابة أو تابعون يعرفونهم حقّ العلم ويفخرون بهم.

[٥] كان الكفور إزاء النّار وبمحاذاتها وأمامها.

[٦] المراد أطاح غطاء رأسه المرفوع إذ يرنو إكباراً لتلك الحضارة.

[٧] قبل: أي قبل الفتح الإسلاميّ.

[٨] وضاء جمع وضئ بمعنى حسن وجميل.

٣٣٦- أمامَكَ وَرْشٌ مَنْ رَوَى حَرْفَ نافِعٍ بِمِصْرَ ومَنْ قد أَقْرَأَ الكُرَماء[١]

٣٣٧- ومَنْ مِثْلُ وَرْشٍ في الكِنانَةِ كلِّها إذا رَتَّلَ القرآن فاقَ أَداء[٢]

٣٣٨- ومَنْ مِثْلُهُ في النّاسِ يَنْشُرُ مُصْحَفاً فَيَنْشُرُ عِطْراً كان فاقَ ذَكاء[٣]

٣٣٩- ومااالكَوْنُ إذ يَتْلُو الكتابَ بِحَرْفِهِ سِوَى طالِبٍ إِذْ أَنْجَبَ النُّجَباء[٤]

٣٤٠- بِكُلِّ نواحِي العِلْمِ في مِصْرَ وَرْشُها وَأَكْرِمْ بِدِينٍ كَرَّمَ العُلَماء

٣٤١- وأَكْرِمْ بِدِينٍ قد تَدَرَّعَ أَهْلُهُ بِأَكْرَمِ أَخْلاقٍ أَشَدْنَ بِناء[٥]

٣٤٢- لقد فَتَحَ الإِسْلامُ كُلَّ دِيارِهِ بِأَخْلاقِ من كانُوا هم الأُمَناء

٣٤٣- أرادُوا بِبَذْلِ الرُّوحِ مَرْضاةَ رَبِّهِمْ وبالطُّهْرِ قد فاقُوا الأَنامَ نَقاء

٣٤٤- وهل عَرَفَ التّارِيخُ مِثْلَ سُلُوكِهِمْ إذا فَتَحوا مِصْراً بَدَوا نُبَلاء

٣٤٥- أمانٌ يَعُمُّ النّاسَ بعد مَعارِكٍ تُشِيبُ وكانُوا قد بَدَوا زُعَماء

٣٤٦- عُيُونَهُمُ لايَرْفَعُون تَعَفُّفاً وقد نَظَمَتْ تلك القُصُورُ نِساء

٣٤٧- وما مَدَّ يَوْماً واحِدٌ يَدهُ إلى كُنُوزٍ لِسُكّانٍ بَدَوْا ضُعَفاء

٣٤٨- وما حاولوا كَشْفاً لِسِرِّ عُلُومِهِمْ وأَشْياءَ قد كانوا بها عُظَماء

٣٤٩- مَنِ اعْتَنَقَ الإِسلامَ كانَ أَخاً لهم ويَدْفَعُ جُعْلاً من أَبانَ إباء

٣٥٠- وما أَكْرَهوا يوماً على الدِّينِ واحِداً فذلك دينُ اللهِ فاقَ ضِياء

٣٥١- ومَنْ يَشْرَحِ الرّحمنُ لِلدِّينِ صَدْرَهُ سَيُسْلِمُ لاتَلَقَى لَدَيهِ عَناء

---

(١) ورش: عثمان بن سعيد المصريّ. ورشٌ لقبٌ له. قالوا لشدّة بياضه. وُلِدَ بمصر سنة ١١٠هـ وقرأ على نافع سنة ١٥٥هـ وتوفّي بمصر سنة ١٩٧هـ ونافع هو نافع بن عبدالرّحمن بن أبي نُعَيْم. إمام أهل المدينة المنوّرة في قراءة القرآن الكريم.توفّي بالمدينة المنوّرة سنة ١٦٩هـ وممّن قرأ عليه القرآن الكريم مالك بن أنس صاحب المذهب والموطّأ. انظر كتاب الإقناع في القراءات السّبع لابن الباذش ٥٧/١.

(٢) الكنانة: أرض مصر على المجاز. والكنانة جَعْبَةٌ صغيرةٌ من جِلْد للنَّبْل.

(٣) فاق ذكاء: فاق تضوّعاً وانتشاراً.

(٤) بحرفه: بحرف ورش وقراءته.

(٥) قد تدرّع أهله: لبسوا العلم كالدّرع في الحرب والقميص في السِّلم.

٣٥٢- ومَنْ يُضْلِلِ الرّحمنُ تَلْقَ بِصَدْرِهِ أَزِيزاً كمن قد كابَدَ الصُّعَداء[١]

٣٥٣- يكونُ دُخُولُ النّاسِ في الدّينِ رَحْمَةً مِنَ اللهِ مَنْ أَبقَى القُلُوبَ رِواء

٣٥٤- وذلك فَضْلُ اللهِ ربّكَ وَحْدَهُ وأَنْتَ أَزَلْتَ الوَهْمَ كان خَطاء[٢]

٣٥٥- هَنِيئاً لِجُنْدٍ وَفَّقَ اللهُ سَعْيَهُمْ بِحَقٍّ لقد كانُوا هُمُ السُّعَداء

٣٥٦- هُمُ يَنْشُرُونَ الدّينَ قد قالَ رَبُّهُمْ سَأُعْلِيهِ فوقَ الدّينِ كان دَواء

٣٥٧- هُمُ الجُنْدُ قد كان النَّبِيُّ محمّدٌ لهم أُسْوَةً كانُوا بها الفُضَلاء

٣٥٨- وذلك سِرُّ النَّصْرِ قد ظَفِروا به بِكُلّ مَكانٍ صادَفُوا بُعَداء

٣٥٩- تَأَسّيهِمُ بِالمصطفى ومَدِينَةٍ بها يُدْفَنُ الهادِي يَفُوقُ إِساء[٣]

٣٦٠- حَقائِقُهُمْ فاقَتْ أساطِيرَ غَيْرِهِمْ بِحَقٍّ لقد كانُوا هم العُرَفاء

٣٦١- بِأَخْلاقِهِمْ تَبْدُو المَدِينَةُ أَيْنَما بَنَوْا لَهُمُ أَقْصَى البِلادِ خِباء[٤]

٣٦٢- وكم بَيْنَ قَبْرِ المصطفى مِنْ مَسافَةٍ وقُرْطُبَةٍ والدَّرْبُ كان شَقاء![٥]

٣٦٣- ويُسْعِدُنِي إن قُلْتُ إنّكَ واجِدٌ بِقُرْطُبَةٍ فِقْهَ المدينةِ جاء

٣٦٤- إذا كُنْتَ في إحْداهُما فَكأنَّما نَزَلْتَ بِأُخْرَى بَهْجَةً وبَهاء

٣٦٥- وذلك أنّ القَوْمَ قد كان نُورُهُمْ أَمامَهُمُ أو شِئْتَ قُلْتَ وَراء

٣٦٦- هو الذِّكْرُ يَمْشِي في البِلاد بِطُولِها وعَرْضٍ وتَبْيِينُ الرّسولِ أَضاء[٦]

٣٦٧- أَقُرْطُبَةُ الغَرّاءَ فِيكِ مَساجِدٌ بِها يُذْكَرُ المَوْلَى صَباحَ مَساء

٣٦٨- تُعَدُّ بِآلافٍ وفِي كُلِّ مَسْجِدٍ أَذانٌ يُغَطِّي أَرْبُعاً وجِواء

٣٦٩- ومَسْجِدُكِ الفَخْمُ العَظِيمُ بَهاءَ يُطِلُّ على النَّهْرِ الكَبِيرِ رِواء

٣٧٠- هو النُّورُ من تلك المساجِدِ نَبْعُهُ هو الخَيْرُ قد غَطَّى البِلادَ فِراء

---

(١) أزيز: صوت. كابد الصّعداء: كابد نَفَساً ممدوداً مع توجّع.

(٢) خطاء: بفتح الخاء: خطأ. أي أَصَبْتَ بدخولك دين الإسلام.

(٣) إساء: أطِبّاء، والمفرد آسى.

(٤) المراد المدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم.

(٥) قرطبة: مدينة عظيمة في الأندلس.

(٦) الذّكر: القرآن الكريم.

٣٧١- أَقُرْطُبَــةُ الغَــرَّاءَ أَبْنــاءُ طَيْبَــةٍ إليــكِ أَتَــوْا مــن يَحْمِلــون نَجــاء
٣٧٢- وأنــتِ علــى عِلْــمٍ بِفِقْــهِ مَدِينَــةٍ بهــا أحمــدُ المختــارُ شَــعَّ ضِــياء
٣٧٣- وكــان صِحابُ المصطفى مِنْ ضِيائِهِ قــد اقْتَبَسُــوا مــا أَنْجَــبَ الفُقَهــاء
٣٧٤- جَميعُ الّذي يَأْتُونَ تَكْرارُ فِعْلِهِمْ بِطَيْبَــةَ أَخْــلاقٌ تَفُــوقُ نَقــاء
٣٧٥- لقد فَتَنُوا الأَقْوامَ مِنْ حُسْنِ خُلْقِهِمْ ولــو كــان بَيْعــاً مارَسُــوا وشِــراء
٣٧٦- فَكَيْــفَ بِهِــمْ في صَــوْمِهِمْ وصَــلاتِهِمْ وكَيْــفَ بِهِــمْ إذ يَرْفَعُــونَ دُعــاء
٣٧٧- وكيــف بِهِــمْ في شَــهْرِ صَــوْمٍ إذا تَلَــوْا بِمَسْــجِدِهِمْ آياً تَشُــقُّ فَضــاء
٣٧٨- وَأَبْــدَى لهــا الكَــوْنُ الفَسِــيحُ تَعاطُفــاً فَفــاحَ عَبِــيراً ســاطِعاً وكِبــاء
٣٧٩- بِتَقْــواهُمُ نُــورُ الوُجُــوهِ أَضــاءَ بِأَخْلاقِهِــمْ فــاقُوا الأَنامَ سَــخاء
٣٨٠- قِيــامُهُمُ بِاللَّيْــلِ نَــوَّرَ دَرْبَهُــمْ وقــد كــان تَوْفِيــقُ المليــكِ غِــذاء
٣٨١- لقد فُتِنَ الأَقْوامُ بِالْقَوْمِ قد أَتَوْا إلــيهم دُعــاةً إِخْــوَةً شُــرَفاء
٣٨٢- وقــد حَرَصُــوا أن يَعْرِفُــوا سِرَّ نُجْحِهِــمْ فلــيس الّــذي كــانُوا أَتْــوهُ رِياء[1]
٣٨٣- ولم يك من سِرٍّ سِوَى الدِّينِ قد أَتَى كَغَيْــثٍ إلى الواحــاتِ كُــنَّ ظِمــاء
٣٨٤- وربُّــكَ يَخْــتَصُّ الأَحَــقَّ بِفَضْــلِهِ ومــن كــان لِلْحَــقِّ المبــينِ وِعــاء
٣٨٥- وأَشْــرَفُ خَلْــقِ اللهِ ذاك محمّــدٌ وأَقْوامُــهُ كــانُوا هــم الخُلَصــاء
٣٨٦- هُــمُ في سَــبِيلَ الــدِّينِ باعُــوا نُفُوسَــهُمْ وكــلَّ نَفِــيسٍ كــان فــاق غَــلاء
٣٨٧- وكُلُّ الّذي أَعْطَوْهُ من أَجْلِ جَنَّةٍ بهــا بَشَّــر المــولى العِبــادَ حِبــاء[2]
٣٨٨- هــو الــدِّينُ سِرُّ النَّصْــرِ في كُــلِّ مَوْطِنٍ بِــهِ صــادَفُوا الأَعْــداءَ والبُغَضــاء
٣٨٩- هــي الأَرْضُ ذاتُ الأَرْضِ لم تُطْوَ تَحْتَهُمْ وبِالــدِّين فــاقُوا شِــدّةً ومَضــاء
٣٩٠- هــو الــدِّينُ سِرُّ الــنُّجْحِ في كُــلِّ بَلْــدَةٍ أَتَوْهــا وقــد كــانُوا هــم السُّــمَحاء
٣٩١- ولمّــا بَــدا لِلنّــاسِ سِــرُّ نَباهَــةٍ أَرادُوا بِأَنْ يَبْــدُوا هُــمُ النُّبَهــاء
٣٩٢- لقد بادَرُوا للــدِّينِ قد دَخَلُوا بِهِ وهــم لم يكونُــوا إذا أَتَــوْهُ بِطــاء

---

[1] نُجْحهم: نجاحُهُم.

[2] حِباء:عطاء.

٣٩٣- وإذ دَخَـلَ الأَقْـوامُ في الـدِّينِ جُمْلَـةً فقــد مارَسُــوا حُلْــوَ الحَيــاةِ إخــاء
٣٩٤- وبِالـدِّينِ قـد صـارُوا جَمِيعـاً أَحِبَّـةً وبالــدِّينِ صــارُوا أجمعــين رِعــاء[١]
٣٩٥- سَواسِيَةٌ كالمِشْطِ لافَـرْقَ بَيْـنَهُمْ ومــن فــازَ بِالتَّقْــوَى ينــالُ وَلاء
٣٩٦- ومـن فـاقَ في عِلْـمٍ يَفُـوزُ بِرُتْبَـةٍ يَفُــوتُ بِهــا الحُكّــامَ والــوُزَراء
٣٩٧- فأنت تَرَى في الصَّدْرِ كُلَّ كَفاءَةٍ بِهــا قَــدَّمُوا الأَكْفــاءَ والفُهَمــاء
٣٩٨- وكُـلَّ الّـذي جـاءُوهُ قُـرْآنُ ربِّهِـمْ إليــه دَعــا كُــلَّ الأَنامِ سَــواء
٣٩٩- فلا فَـرْقَ في الإسْلامِ بين بِلالِهِمْ وبــين صُــهَيْبٍ حــين فــاقَ إياء[٢]
٤٠٠- ولافَـرْقَ بـين المَـرْءِ مـن نَسْـلِ يَعْـرُبٍ ومــن يَنْطِــقُ الحــاءَ العَصِــيّةَ هــاء[٣]
٤٠١- هـو العَـدْلُ بـين النّـاسِ باعِـثُهُمْ علـى دُخُــولٍ بِــدِينٍ أَنْقَــذَ البُؤَســاء
٤٠٢- وحَثَّ على جَعْلِ الإخاءِ حَقِيقَةً أَخُــوكَ وقــد صَــلَّى أجــابَ نِــداء
٤٠٣- تَنالُ على الخيرِ الّذي أنت تَبْتَغِي بِــــهِ اللهَ في دارِ البَقــــاءِ جَــــزاء
٤٠٤- ولـو كـانَ ذاك الخـيرُ وَضْـعَكَ لُقْمَـةً لِزَوْجِــكَ في فيهــا وجَــلَّ عَطــاء
٤٠٥- عَظِيمٌ هـو الإسْـلامُ وافَـقَ فِطْرَةً لِكُــلِّ أُناسٍ يَنْشُــدُونَ عَــلاء
٤٠٦- جميـعُ الّـذي يَحْتاجُـهُ الـدِّينُ أُمَّـةٌ تُمارِسُــهُ حَقّــاً صَــباحَ مَســاء
٤٠٧- إذا هي صَلَّتْ أو هي الغَيْـرَ أَنْصَفَتْ أو الخَيْــرَ قــد عَمَّــتْ بِــهِ الغُــرَباء
٤٠٨- إذا هي قد باعَتْ إذا هي قد شَرَتْ إذا هــي لاحَــتْ عِفَّــةً ونَقــاء
٤٠٩- بِأَخْلاقِهِـمْ آباؤُنا الصِّـيدُ حَقَّقُـوا نَجاحــاً لِنَشْــرِ الــدِّينِ كــانَ شِــفاء
٤١٠- وأُسْـوَتُهُمْ في كُـلِّ خَـيْرٍ محمّـدٌ بِسُــنَّتِهِ القُــرآنُ زادَ جَــلاء
٤١١- وأحمـدُ كُـلُّ الخَلْـقِ يَلْقَـوْنَ أُسْـوَةً بِــهِ دائمــاً مــابات ذاك خَفــاء
٤١٢- هـو الفَضْـلُ قـد خَـصَّ المليكُ محمّـداً بِــهِ وَحْــدَهُ فــاذْكُر هنــا الفُضَــلاء
٤١٣- جَمِيـعُ رِجـالِ العـالمينَ محمّـدٌ لهــم أُسْــوَةٌ فاسْــأَلْ هنــا العُلَمــاء

---

[١] الرّعاء جمع الرّاعي وهو من ولي أمراً بالحفظ والسّياسة كالحاكم.

[٢] إياء، بكسر الهمزة: نور الشّمس وحسنها. وبلال حبشيّ. وصهيب روميّ، رضي الله تعالى عنهما.

[٣] العين والحاء على الأعجميّ كالخناجر في الحناجر على حدّ تعبير بعضهم.

٤١٤- حَياةُ جميعِ النّاسِ طِينٌ يَشُدُّها ورُوحٌ مناهـــا أن تَفُـــوقَ سَـــناء
٤١٥- وأنتَ تَرَى في الدِّينِ جاءَ محمّدٌ بِـــهِ قَوْمَـــهُ المِيـــزانَ كـــان سَـــواء
٤١٦- فلا كِفّةُ الميزانِ بالطِّينِ قد هَوَتْ ولا الـــرُّوحُ غابَـــتْ في الفَضـــاء فَنـــاء
٤١٧- كأنّـــكَ في الـــدُّنْيا تَصِـــيرُ بِنـــاءَ كأنّـــكَ لِلْأُخْـــرَى تَشُـــقُّ فَضـــاء
٤١٨- لقد كان خَيْرُ الخَلْقِ يَعْبُدُ رَبَّهُ ويَشْـــقَى ولايَرْضَـــى المليـــكُ شَـــقاء
٤١٩- وكـانَ مِـنَ الـدُّنْيا يَنـالُ نَصِـيبَهُ وحَبَّـــبَ مَـــوْلاهُ إِلَيْـــهِ نِســـاء
٤٢٠- شُـــئُونُ نِســـاءِ العـــالمين كَثِـــيرَةٌ وَأَحْـــرَى بِأُنْثَـــى أن تُزِيـــلَ حَيـــاء
٤٢١- وكـان رسـولُ اللهِ أَعْطَـى نِسـاءَهُ سَماحـــاً بِنَقْـــلِ الـــدِّينِ فـــاقَ خَفـــاء
٤٢٢- فكيـف بِشَـأْنٍ قَـلَّ عنـه خَفـاءَ وكيـــف بِشـــأنٍ لِلنِّســـاءِ تَـــراءَى[1]
٤٢٣- وليس لَدَى المختارِ شَيْءٌ يُسِرُّهُ فمـــا قالَـــهُ القُـــرْآنُ أَحمـــدُ جـــاء
٤٢٤- جميعُ الّذي جاءَ الرّسولُ ضَحاءَ ومـــا عنـــه يَنهْـــى كـــان ذاك تَـــواء[2]
٤٢٥- وإذْ كـانَ خـيرُ الخَلْـقِ أَعْطَـى نِسـاءَهُ سَماحـــاً فقـــد أَعْطَـــى كـــذا السُّـــمَحاء
٤٢٦- جميـعُ الّـذي جـاءَ الرّسـولُ موافِـقٌ لمـــا جـــاءَ في وَحْـــيٍ ولاتَ خَفـــاء[3]
٤٢٧- ومُـذْ كـان عبـدُ الله يَكْتُـبُ وَحْيَـهُ بِصـــادِقَةٍ أَبْـــدَى الرّســـولُ رِضـــاء[4]
٤٢٨- هـو الـوَحْيُ قـد كـان الرّسـولُ يَقُولُـهُ ويَفْعَلُـــهُ والـــوَحْيُ كـــان سِـــقاء[5]
٤٢٩- بِحِفْـــظِ إلـــهِ العَـــرْشِ ذِكْـــراً وسُـــنَّةً رســـولُ الهُـــدَى كـــان المِثـــالَ غَنـــاء
٤٣٠- جميـــعُ عِبـــادِ الله يَلْقَـــوْنَ أُسْـــوَةً أكـــانوا هـــم القُـــوّادَ والأُمَـــراء
٤٣١- أكـــانُوا هـــم النُّـــوابَ والـــوُزَراء أكـــانوا هـــم الحُكّـــامَ والحُكَمـــاء

---

[1] تراءى: ظهر.

[2] ضحاء: جاءه ضحى وعلانية. تواء، بفتح التّاء: هلاك.

[3] أي وليس ذلك خفاء.

[4] هو عبدالله بن عمرو بن العاص الّذي كتب صحيفته الصّادقة وفيها كلّ ماسمعه من النّبيّ ﷺ فرضي ﷺ عن ذلك وحثّه عليه.

[5] سقاء، بكسر السّين: الوعاء يجعل فيه ماءٌ يُسْقَى.

٤٣٢- أكـانوا هـم العُبّـاد والصُّـلَحاءَ أكـــانُوا هـــم الطُّـــلّابَ والعُلَمـــاء

٤٣٣- أكـانوا جَمِيـعَ النّـاسِ كُـلٌّ بِحَقْلِـهِ وكـــلٌّ تَمَـــنَّى أن يَطُـــولَ عَـــلاء

٤٣٤- سَعِدتَ إذا ماسِرْتَ في السَّفْحِ خُطْوَةً وأنـــت تَـــرَى طَـــوْداً يَطُـــولُ سَمـــاء

٤٣٥- يَضُـــمُّ عِبـــادَ اللهِ كُـــلٌّ بِدَرْبِـــهِ يَشُـــقُّ طَرِيقـــاً أَتْعَـــبَ الفُضَـــلاء

٤٣٦- تُرِيـــدُ مُحاكـــاةَ النَّـــبِيِّ محمّـــدٍ سَعِدتَ فما اسْمُ الحَقْلِ قَلْبُك شاء

٤٣٧- لديكَ حُقُولٌ يُتْعِبُ المرءَ عَدُّها وأَقْـــرَبُ حَقْـــلٍ أن تُطِيـــلَ دُعـــاء

٤٣٨- إليـكَ قَلـيلاً مـن كَثِـيرِ محمّـدٍ يَقُـــومُ بِـــهِ والـــدَّمْعُ يُشْـــبِهُ مـــاء

٤٣٩- وأَعْظَـمُ رُكْـنٍ بعـد توحِيـدِ خـالِقٍ صَـلاةٌ مـن المـولى تكـون حِبـاء[١]

٤٤٠- هي الرُّكْنُ في عُلْيا السّماوات قُدِّمَتْ لِأَحمـــدَ إذْ في اللَّيْـــلِ زارَ سَمـــاء

٤٤١- محمّـــدٌ المختـــارُ أَمَّ صَـــحابَةً وثابَـــرَ لـــو كـــانَ المكـــانُ عَـــراء

٤٤٢- ولم تَفُـتِ المختـارُ أَيُّ جَماعَـةٍ بِطَـــوْعٍ ولكـــن تَمَّ ذاك قَضـــاء

٤٤٣- وذلـك في يَـوْمَيْنِ في يـومِ خَنْـدَقٍ ويـومَ صَـحا والوَقْـتُ كـان ضَـحاء[٢]

٤٤٤- وربُّـكَ في القـرآنِ يُرْشِـدُ عَبْـدَهُ بِأنّ نُـــزُولَ الـــذِّكْرِ لـــيس شَـــقاء

٤٤٥- وربُّـــكَ لايَخْفَـــى عليـــهِ بأنَّـــهُ يَقُـــومُ كَثِـــيرَ اللَّيْـــلِ طـــالَ شِـــتاء

٤٤٦- لقـدكـان خـيرُ الخَلْـقِ يَمْكُـثُ قائِمـاً علـــى أَلِـــفٍ حـــتّى يُـــرَوِّحَ باء[٣]

٤٤٧- وقـد يَمْكُـثُ الهـادِي يُكـرِّرُ آيَـةً لَعَـــلَّ بِهـــا العاصِـــي ينـــالُ نَجـــاء[٤]

٤٤٨- يَظَـلُّ طَـوالَ اللَّيْـلِ يَبْكِـي مُـرَدِّداً لهـــا في صَـــلاةٍ إِذْ أَطـــالَ نِـــداء

٤٤٩- وقـد يَقْـرَأُ الهـادِي الطِّوالَ مُـرَدِّداً لِآيٍ لَـــدَى التّـــالِي تُهِـــيج بُكـــاء

٤٥٠- يظَـلُّ رسـولُ الله يَبْكِـي مُـرَدّداً بِشَـــجْوٍ دعـــاءً هَـــيَّجَ الخُلَصـــاء

---

[١] حباء، بكسر الحاء: عطاء.

[٢] الصّلاة الأولى صلاة العصر، والصّلاة الأخرى صلاة الفجر في طريق العودة من غزوة خيبر.

[٣] المراد بالألف القدم الأولى وبالباء القدم الأخرى. يروّح: يجلب الرّاحة.

[٤] المراد الآية الكريمة الثّامنة عشرة بعد المائة من سورة المائدة الكريمة. قال تعالى:﴿ إن تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم﴾.

٤٥١- وتَسْألُهُ مِنْ بابِ عَطْفٍ شَفِيقَةٌ عليه ابْنةُ الصِّدِّيقِ فاقَ صَفاء

٤٥٢- أليس إلهُ العَرْشِ ذَنْبَكَ قد عَفا فَيُخْبِرَها آتِي السُّجودَ ثَناء

٤٥٣- سَعِدتَ أيا من كانَ أحمدُ أُسْوَةً تُحاكِي إذا الهادِي أَطالَ دُعاء

٤٥٤- سَعِدتَ إذا ماسِرْتَ في الدَّرْبِ خُطْوَةً وقد لاحَ خيرُ الخَلْقِ مِنْكَ ذُكاء[١]

٤٥٥- وإذ كان هذا الوَجْهُ لِلْخَيْرِ ناعِماً فليس كذا إن كانَ شدَّ لِواء

٤٥٦- ومَنْ ذا الّذي خاضَ الوَغَى كمحمّدٍ وبَثَّ جُيُوشاً قد مَلأْنَ فَضاء

٤٥٧- وقَبْلَ وفاةِ المصطفى شَدَّ رايَةً لِشِبْلٍ أَبُوهُ يَسْبِقُ الشُّهَداء[٢]

٤٥٨- ومِنْ بعد قَرْنٍ من وفاةِ محمّدٍ تَرَى أَكْثَرَ الدُّنْيا يَنالُ رَخاء

٤٥٩- ورايَةُ تَوْحِيدٍ تُرَفْرِفُ في الذُّرَى تُداسُ كمالَوْقَدْ سَحَقْتَ وِطاء[٣]

٤٦٠- ورايَةُ شِرْكٍ في الحَضِيضِ ذَلِيلَةٌ أَرْادَ وهذا النَّصرُ كان قَضاء

٤٦١- جميعُ الّذي قد كان ربُّك وَحْدَهُ يَطِيرُ كَنِيرانٍ أَصَبْنَ أَباء[٤]

٤٦٢- ألستَ تَرَى الإسْلامَ في كُلِّ بُقْعَةٍ وكان لِكُلِّ الطَّيِّباتِ غِذاء

٤٦٣- وذاكَ لِأَنَّ الدِّينَ وافَقَ فِطْرَةً ونَبْعٌ لمن جاءُوا إليهِ ظِماء[٥]

٤٦٤- وأَنَّ رسولَ اللهِ لِلنّاسِ أُسْوَةٌ وما خابَ من أَلْقَوْا إليه دِلاء

٤٦٥- جميعهمُ قد عَبَّ عَذْباً وكَوْثَراً دَلِيلُكُمُ لِلْخَيْرِ فاقَ غَلاء

٤٦٦- تَعالَوْا عِبادَ اللهِ إنّ محمّداً لَكُمْ رَبُّكُمْ هل تَسْمَعُونَ نِداء!

٤٦٧- تعالَوْا إلى جَنّاتِ عَدْنٍ أَعَدَّها إلى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ باتَ لِواء

٤٦٨- كِتابُ إلهِ العَرْشِ نُورُ سَبِيلِكُمْ

---

[١] ذكاء، بضمّ الذّال: الشّمس.

[٢] الشّبل: أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما. والشّبل وأسامة اسمان لولد الأسد. وزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه شهيد مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان. وهو أوّل الأمراء الثّلاثة استشهاداً.

[٣] الوِطاء، بكسر الواو: خلاف الغِطاء.

[٤] أباء: قصب.

[٥] ظماء، بكسر الظّاء: جمع ظمآن وظمآنة.

٤٦٩- وأحمدُ خيرُ الخَلْقِ نُورُ كِتابِكُمْ جميعُ الّذي يَعْنِيهِ قالَ وجاء[1]

٤٧٠- شهادَةُ تَوْحِيدٍ جَوازُ مُرُورِكُمْ لِجَنّاتِ عَدْنٍ قد كَرُمْنَ ثَواء

٤٧١- وفِعْلُكُمْ لِلصّالِحاتِ سَبِيلُكُمْ إلى غُرُفاتٍ في الجِنانِ عَلاء

تمّت

مساء يوم الأربعاء ١٤٢٨/٨/٢٣هـ

مكّة المكرّمة

[1] أي جميع الّذي يعنيه القرآن الكريم ويقصده قاله النّبيّ ﷺ وفعله.